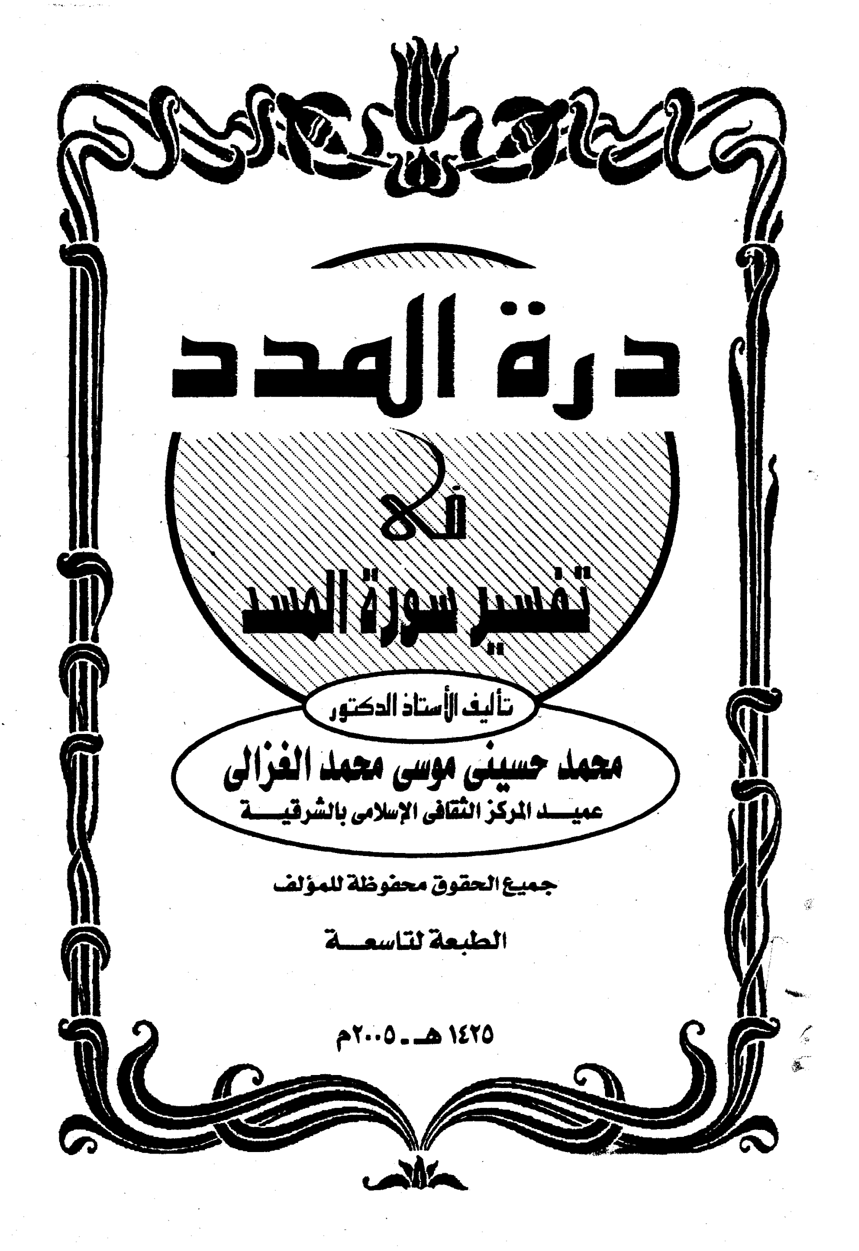


درة المدد في تفسير سورة المسد

تأليف الأستاذ الدكتور
محمد حسيني موسى محمد الغزالي
عميد المركز الثقافي الإسلامي بالشرقية

الطبعة لتاسعة

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥م

((إهـــــداء))

إلـــى :

تلكـــم الروح الذكيـــــــــــة

والنفـــس الكريمـــــة الأبيـــــة

والجوانـــح المهذبـــة النقيـــــة

روح شـــيخي فضيلة الاســـتاذ الدكتـــور :

" عبد العال أحمد عبد العـــال "

استاذ الحديث وعلومه ـ جامعة الأزهـــــر

رحمه الله ، وجعل الجنة مثواه ، يرفـــــل

في نعيـــم مولاه ، مرددا الحمـــد للـــه .

دكتـــور

(محمد حسيني موسى محمد الغزالي)

((مناجـــاة))

إلهى ... إلهى ....

إن كنت لاترحم إلا أهل طاعتك فإلى من يفزع المذنبون ؟

اللهـم :

إنى أعـوذ بك من علـم لاينفـع

ومن قلب فـى حبـك لا يخشـع

ومن عيـن مـن خشيتك لاتدمـع

ومن نفـس آملـة فـى الدنيـا لاتشـبع

ومن دعـوة غيـر مقبولـة لاترفـع

اللهـم :

ارحمنا برحمتك ، وأفض علينا من فيوضات محبتك ،

واجعلنا من المقبولين عندك ، المنعمين

برضـوان جنتـك.

((المقدمـــــــــــة))

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، جعل القرآن الكريم حبلا بينه وبين خلقه ، وشفاء لما فى الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين به المستمسكين بهديه ، "وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا" (١).

وأشهد أن لا اله الا الله ، وحده لاشريك له أنزل على حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم قوله تعالى "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا" . (٢)

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، النبى الأمى الذى أعجز الله بفصاحته العرب والعجم ، وكان بأميته فخر المتعلمين ومنارة يهتدى الى نورها المهتدون . قال فى حديثه الشريف ، الذى رواه : الترمذى بسنده عن الحارث الأعور ، عن على كرم الله وجهه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إنه ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، قيل فما النجاة منها يارسول الله ؟ قال : كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل

(١) سورة الاسراء الاية رقم ٨٢ (٢) سورة الاسراء الآية رقم ٩ .

ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم والصراط المستقيم ، هو الذى لاتزيغ به الأهواء ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولايشبع منه العلماء ، ولايمله الأتقياء ، من علم علمه سبق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن اعتصم به فقد هدى الى صراط مستقيم (١) " .

وصلى اللهم وسلم وبارك على أشرف الخلق سيدنا محمد بن عبد الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، الفاتح لما أغلق والخاتم لمن سبق ، والناصر الحق بالحق ، والهادى الى صراطك المستقيم ، صلاة وسلاما بقدر مقامه عندك ، فإنك أنت العظيم ، رب العرش العظيم ، وأقبل اللهم شفاعته فينا بقدر ما تعمنا تلك الشفاعة وبقدر ما وصفته في قرآنك الكريم ، "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ" .(٢)

وأرض اللهم عن أصحابه الغر الميامين ، وآل بيته الطاهرين وأتباعه القائمين على شرعك القاصدين وجهك ، ومن تبعهم وسار على

---

(١) الاتقان في علوم القرآن جـ ٢ صـ ١٥١
(٢) سورة التوبة الآية ١٢٨

دربهم ، ونسج على منوالهم ، واهتدى بما أنزلت فى كتابك الحكيم وتمسك بسنة نبيك الكريم إلى يوم الدين . وافتح اللهم علينا فتوح العارفين بنعمتك ، وأنشر علينا من خزائن رحمتك ، حتى لا أَضِلَّ أو أُضَلَّ ، أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ ، بكرمك وجودك يا أكرم الأكرمين .

وبعـــد !

فان خدمة كتاب الله تعالى من أجل الأعمال بل هى أتمها ، لأن كتاب الله هو كلامه ، وكلام الله صفة من صفاته تعالى ، وذاته ولها من صفاتها الكلام ، وطبقا لهذا فان المشتغل بكتاب الله تعالى مشغول بذكر الله ، وهل بعد ذكر الله تعالى ذكر ؟!

ثم ان كتاب الله نور يضىء الظلم ، وحق يزل الغمم ، وصراط يهدى صاحبه الى الحق تعالى ، ويعرفه به حق معرفته ، ولا يعرف هذه وتلك الا من ذاق حلاوته ، وغرو مع أحكامه ، وانسجم مع أوامره واجتنب نواهيه اذ ليس بعد الاتباع أتباع ، فماذا بعد الحق الا الضلال .

بيد أن خدمة كتاب الله تعالى — القرآن الكريم — يتنوعون طبقا لظروفهم وشمول القرآن الكريم لكافة أعمالهم ، واحتوائه كل مجهوداتهم فمنهم :

(١) قارئ للقرآن الكريم ، يعرف أحكام تلاوته ، كما يعرف رسمه وكتابته ، ثم يقوم باسماع الناس التلاوة من خلال صوته الرخيم ، أو يلقنهم كتاب الله تعالى كما يحدث مع المعلمين ، أو يعينهم على حفظ آياته ، والتمسك بحروفه وشكل كلماته ، كما يفعل بالمكاتب "مكاتب تحفيظ القرآن الكريم" من خلال المحفظين (١) .

(٢) تال للقرآن الكريم ، متفرغ لتلاوته ، يجود أحكامه ، ويعرف قراءاته ما تواتر منها وما انفرد ، ماصح منها وما شذ ، ماقبل منها وما رد ، وهو ماهر بهذه وتلك حتى انك لو أردت وصفه أو تعريفه ووصفه لقلت انه تال للقرآن الكريم ، وأى شرف بعد هذا ؟!

(٣) واقف على تفسيره ، ملتزم حروفه وتعابيره ، تبيت معانيه بين جوانحه ، وتفوق مبانيه مطامحه ، حتى ان المعانى ربما تأبت عليه وتمنعت ، وربما فتح الله عليه فأقبلت وتنوعت ، يغوص فى بحار

---

(١) عادة مكاتب تحفيظ القرآن الكريم نوع من الأدب الاسلامى تجعل فى الناس للقرآن حفظه ، وتعلى أقدار أصحاب العاهات والعجزة ، وهل رأيت من يناديه الناس – صغيرهم والكبير ، عظيمهم والحقير – بلفظ سيدنا الا معلم القرآن الكريم ، فهى منزلة أعلى من كل المنازل لو تدبرها صاحبها وأتقن فهمها .

اللغة يستشهد بها على معنى خفى عليه ، أو يستأنس بنقل أقبل اليه ، وأولئك يعرفهم الناس بعلماء التفسير ، وهم بين صاحب مأثور ، أو عرف لدنى من الله مجبور ، أو رأى ترت عليه المعانى وتحور ، أو صاحب مذهب استكان فى رحاب الغفور ، أو مخبر عن ليال خلت ، وحوادث نزلت ، وأيام حلت ، ودهور تطول .

(٤) واقف عند أحكامه بين نقله ومتنه يجمع بعضه الى بعضه ، حتى يغذى كبد لغته ، أو يثرى قواعد شرعه ، أو يحفظ حياة مجتمعه أو يكشف من أسرار مكنونات أيام خلت قارنها بحوادث دنت ، فالقرآن الكريم كتاب رب العالمين ، أفاد منه الألكن والأعجم ، كما عرفه الأعرابى المقسم .

والقرآن الكريم " كتاب الله تعالى عز وجل هو الشافع الذى لاترد شفاعته ، وشفاعته للعبد تمنعه من وقوعه فى العذاب ، بخلاف شفاعة غيره فانها تخرج العبد من العذاب بعد وقوعه فيه " (١) ، ولعل هذا يشهد له قوله صلى الله عليه وسلم " اقرءوا القرآن فانه يجئ يوم القيامة شفيعا لأصحابه " .

---

(١) الاستاذ الشيخ / عبد الفتاح القاضى - الوافى فى شرح الشاطبية فى القرآءات السبع ص ١٢ ط عبد الرحمن محمد .

وهو " الحقيق يقول منزله جل وعلا فيه " مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ "، لأنه ذكر جميع ما يُحتاج اليه من أمور الدين والدنيا فيه ، اما مجملا واما مفصلا ، والمجمل قد بينه رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد أمر القرآن الكريم باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى " وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا " لأنه لاينطق عن الهوى .

والحقيق بأن يقول منزله فيه ، " وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ " أى بيانا بليغا لكل شئ يتعلق بأمور الدين والدنيا .... ومن راض نفسه وتأمل وذاق طعم اللغة العربية ، وجلالة أسلوبها ، وتعلم مبادئ العلوم التى يريد أن يعرفها من القرآن الكريم ، وجد أن القرآن الكريم قد اشتمل عليها قطعا " (١) بل واشتمل على مالم يهتدى اليه الناس من وقت نزوله الى الآن ، وربما اهتدى بعضهم الى بعض ما اشتمل عليه ، لأنه يحوى جميع العلوم ويحتوى جميع العصور ، إنه كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين ، على قلب سيدنا محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين .

أجل إن القرآن الكريم " ينبوع يستمد منه العلم ، فهو كتاب الله عز وجل ، وهو الخضم الغطمطم الذى لا ساحل له ، وقد وصفه موحيه

---

(١) فضيلة الامام الأكبر الشيخ / محمد الحسينى الظواهرى . مقدمة لكتاب القرآن ينبوع العلوم والعرفان ص ٦ ، ٧ ط أولى احياء الكتب العربية عيسى الحلبى ١٩٤٣م .

بقوله جل علاه " قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا " (١) وكلمات الله هى حكمه الناطقة فى مخلوقاته ، وأعلامه الماثلة فى آياته. (٢)

يعجز الواصفون عن استقصاء أوجه بلاغته ، وجمال تركيبه وعبارته ، واحكام أخباره فى تأمله وقراءته " ختم الله به الكتب ، وأنزله على نبى ختم به الأنبياء بدين عام خالد ختم به الأديان ، فهو دستور الخالق لاصلاح الخلق ، وقانون السماء لهداية الأرض ، أنهى اليه منزله كل تشريع وأودعه كل نهضة ، وناط به كل سعادة .

وهو حجة الرسول وآيته الكبرى : يقوم فى فسم الدنيا شاهدا برسالته ناطقا بنبوته ، دليلا على صدقه وأمانته ، وهو ملاذ الدين الأعلى ، يستند الاسلام اليه فى عقائده وعباداته ، وحكمه وأحكامه ، وآدابه وأخلاقه وقصصه ومواعظه وعلومه ومعارفه .

وهو عماد لغة العرب الأسمى تدين له اللغة فى بقائها وسلامتها ، وتستمد علومها منه على تنوعها وكثرتها ، وتفوق سائر اللغات العالمية فى

---

(١) سورة الكهف الآية رقم ١٠٩

(٢) الاستاذ / محمد فريد وجدى تقديمه كتاب القرآن ينبوع العلوم والعرفان ص ٨ وما بعدها .

أساليبها ومادتها ، وهو أولا وآخرا القوة المحولة التى غيرت صورة العالم ونقلت حدود الممالك ، وحولت مجرى التاريخ ، وأنقذت الانسانية العاثرة فكأنما خلقت الوجود خلقا جديدا " (١)

من ثم فان اهتمام المفكرين بالقرآن الكريم كاتف اهتمام الأطباء ، وواكب عناية الفلاسفة ، وغلب نظرة المتكلمين ، وشحذ همم المؤرخين أنه " كتاب حوى — مما حوى — من أخبار الأمم الماضية ما فيه معتبر للأجيال الحاضرة والمستقبلة ، نقب على الصحيح منها وغادر الأباطيل التى ألحقتها الأوهام بها ، ونبه على وجوه العبرة فيها ، حكى عن الأنبياء ماشاء الله أن يقص علينا من سيرهم ، وما كان بينهم وبين أممهم ، وبرأهم مما رماهم به أهل دينهم المعتقدون برسالاتهم .

آخذ العلماء من الملل المختلفة على ما أفسدوا من عقائدهم ، وما خلطوا فى أحكامهم ، وما حرفوا بالتأويل فى كتبهم ، وشرع للناس احكاما تنطبق على مصالحهم ، وظهرت الفائدة فى العمل بها والمحافظة عليها ، وقام بها العدل ، وانتظم بها شمل الجماعة ماكانت عند حد

---

(١) الاستاذ الشيخ / محمد عبد العظيم الزرقانى — مناهل العرفان فى علوم القرآن جـ ١ صـ ١٠ ط عيسى الحلبى .

ماقرره ، ثم عظمت المضرة فى اهمالها ، والانحراف عنها ، أو البعد بها عن الروح الذى أدعته ، ففاقت بذلك جميع الشرائع الوضعية ، كما يتبين للناظر فى شرائع الأمم " (١) .

بيد أن الدارسين له مايزالون واقفين حوله ، منهم محاول الدخول الى ميدانه فيرى المحاولة لن يقدر لها النجاح فيصرف همته الى غيرها ثم يعاوده الحنين ويغالبه الأمل ، وربما استقل جهده أو استكثره لكن تبقى آماله حبيسة صدره حتى يقدر لها أمر ما قدره الله .

وبعضهم من غير أداة ينطلق اليه يحاول الوصول إلى أغراضه البعيدة ومراميه الكبيرة وأنّى له . اذ كيف يدعى واحد من المخلوقين أنه حاط علما بصفة من صفات رب العالمين على الكنه والحقيقة وأنّى له أن يحيط حتى لو كان زعمه قاطعا الطريق قبله . لأن المسألة تتعلق بالغيب ولايعرفه الا الله .

والقرآن الكريم " من القلوب بمثابة الروح من الجسد . فكما لاتحيا الأجساد بدون الأرواح لاتحيا القلوب بغير هذا الكتاب العزيز ، وهو

---

(١) الاستاذ الامام / محمد عبده – رسالة التوحيد ص ١٤٢ ط ٤ دار المعارف تحقيق محمود أبو رية .

من البصائر بمنزلة النور من البصر ، فكما لايهتدى البصر بغير النـــور لاتهتدى البصائر بغير هذا القرآن الكريم ، ومن ثم سماه الله روحـــا وسماه نورا ، حتى قال "وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَاكُنْـــتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِـــنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِـــي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ " بتلاوته يزيد ايمـــان المؤمنين " . (١)

بيد أن هناك صنفا مكن الله لهم فى الملكات ، وأغدق عليهم مـــن منحه والهبات ، فتراهم مما أفاض الله عليهم يتحدثون ، وفى حـــدود معارفهم يخطون الحروف وللكلمات يكتبون ، راجين الله جل علاه أن يغفر لهم ما يكرهون ، وهم فى هذا الطريق فرق ، وعلى سلمه درجات منهم الناهض ومنهم محاول النهوض ، ومنهم حاب لاتنهض به قوائمـــه ، وان حسنت منهم النوايا وصحت فيهم العزائم ، فالكل حول كتاب الله قائـــم والله يعطى كلا حسب توفيقه له .

---

(١) سورة الشورى الآيتان ٥٢ ، ٥٣

(٢) الاستاذ / سعد شاكر على — قبس من نور الله عز وجل ص ١٢ ط عيسى الحلبى ١٣٩٧ هـ .

((أولا : بين يدي السورة الكريمة))

قال تعالى :

" بسم الله الرحمن الرحيم "

((تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (٥) .)) " صدق الله العظيم " .

أولا : بين يدى السورة

سورة المسد مكية بالاجماع(١) ، ونزلت بعد الفاتحة (٢) وترتيبها فى المصحف الحادى عشر بعد المائة ، وعدد آياتها خمس آيات " جميعها محكم ليس فيها ناسخ ولا منسوخ " (٣) ، وهذا الرأى مال اليه جمهور المفسرين ، وعليه اجماعهم ولم يوجد - حسب ما وقفت عليه - معارض لهم .

---

(١) العلامة الصاوى - حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين ج٤ ص ٣٦٢ ط دار الفكر .
(٢) الكشاف ج ٤ ص ٨١٣ .
(٣) العلامة أبو الحسن على بن احمد الواحدى النيسابورى - الناسخ والمنسوخ بهامش أسباب النزول ص ٣٣٦ - النور الاسلامية .

(١) فضل سورة المسد :

ورد فى فضل سورة المسد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« من قرأ سورة تَبَّتْ رجوت أن لايجمع الله بينه وبين أبى لهب فى دار واحدة »[١]
وقال محقق الكتاب ، أخرجه الثعلبى ، والواحدى ، وابن مردويه من حديث أبىّ بن كعب ، ولم أقع عند واحد من المفسرين الذين رجعت إليهم على هذا الحديث ٠

(٢) التسمية :

سميت السورة بعدة أسماء ، وكل منها يحمل دلالة معينة ولسنا نقصد التسمية التوقيفية من حيث ذاتها كتوقيف ، ولكنا نقصدها من حيث المعنى والدلالة ، ولذا وجدنا السورة قد سميت بعدة أسماء ، حيث سميت سورة أبى لهب ، وسورة المسد ، وسورة تَبَّتْ ، وسورة اللهب ٠

ـ التسمية الأولى : سورة أبى لهب :[٢]

واللهب فى اللغة : هو الضوء الصادر عن النار المشتعلة ، سواء كان ذلك الضوء أخضر اللون أو أحمره ، أو أسوده أو أصفره وله الـــم

(١) الكشاف جـ ٤ صـ ٨١٧ ٠
(٢) البحر المحيط جـ ٤ : العلامة الصاوى جـ ٤ صـ ٣٦٢ ، الفتوحات الالهية جـ ٤ صـ ٦٠

شديد على من يمسه أو يقترب منه وهو اللفح ، ومنه قوله تعالى : " تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١) " .

وفي الاصطلاح : هو أثر النار الصادر عنها ، الذى يتحقق به الايلام الشديد للعصاة والكافرين يوم القيامة ، ويكون فى نار جهنم التى هى دار العذاب للمذنبين .

لماذا سميت سورة اللهب وسورة أبى لهب:

سميت السورة بسورة أبى لهب ، تنفيرا من عدو الله أبى لهب عبد العزى بن عبد المطلب ، الذى استمرأ عداوة الله ورسوله ، وصد الناس عن دين الله رب العالمين ، وكان يكنى بأبى لهب ، وكأن المعنى (٢) — والله أعلم — أن السورة قد أكدت غضب الله على عدوه أبى لهب ، وأن النار التى سيكوى بها لاتبقى منه ولن تذر ، وسيكون لها تعلق به كتعلق الأم بابنها الوحيد الذى لم ترغيره ، أو تعلق الأب بالابن الوحيد وان كان تعلق النار بأبى لهب فيه الكيد له والتنكيل ، وهذا سر من أسرار بلاغة القرآن الكريم واعجازه .

---

(١) سورة المؤمنون الآية رقم ١٠٤ .
(٢) الشيخ / محمد على الصابونى — صفوة التفاسير جـ ٣ صـ ٦١٧ طبعة دار الرشيد — سوريا حلب .

والمعنى : أن الله بشر (١) أبا لهب بالوعيد الذى ينتظره فــى الآخرة ، وهو الذى صنعه أبو لهب لنفسه ، وكنى به طيلة عمــره ، بحيث صار هذا الوعيد لأبى لهب مقترنا بكنيته ، التى تحمل غالبــا معنى الألم الا أنها هنا جاءت تحمل معنى السوء جزاء لما اقترفتــه يداه اللئيمتان فى عداوة الله ومحادة رسوله .

فان قلت : لم ذكر الله أبا لهب بالكنية ولم يذكره بالاسم ، وهــو عبد العزى ؟

فالجواب من وجــوه :

الأول : أن الله ذكره بكنيته حتى يتشائم الناس من ذكره ، وقد استمر الناس على ذلك والى الآن يتشاءمون من أصحاب الكنى والأسماء أو الألقاب التى تحمل مضمونا ذميما أو معنى غير نبيل ، وأبــو لهب من تلك الأسماء غير المقبولة ، والكنى المهجورة ، ويؤيـده ما مال اليه الفخر من أن التكنيــة قد تكون اسما ، ويؤيده قراءة "من قرأ تبت يدا أبو لهب ، كما يقال على بن أبو طالب ، ومعاوية ابن أبو سفيان ، فان هؤلاء أسماؤهم كناهم" (٢) .

---

(١) البشارة كما تكون فى الخير تكون كذلك فى الشر . قال تعالى فــى الكافرين : " فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ "

(٢) الامام الفخر الرازى — مفاتيح الغيب جـ ٣٢ ص ٧٥٥ .

الثاني : أن أبا لهب وصف دقيق لعبد العزى ، حتى كأنه الذي أوقد النار وصنع الألم لنفسه من خلال ماقام به ، وهذا تصوير بديع وخطاب بلا أطناب ، حيث يفهم القارئ مباشرة أن أبا لهب صار علامة على النار التي من صفاتها التلهب وقد شاركها عبد العزى فيه فلاجرم أن يكون له من كنيته النصيب الأوفى وأن كان في السوء فلا مضرة .

الثالث: وجود التمايز بين عبد العزى المغضوب عليه ، المذكور في القرآن الكريم بكنيته وبين غيره ممن يشاركونه الأسم ولو وقعت المشاركة ، وان كانوا حتما سيختلفون عنه في الكنية والنتيجة النهائية التي أنتهى إليها أمر كل واحد منهم .

الرابع: وجود القرينة المسوغة بين كنية عبد العزى ولقب زوجه حيث صارت الكنية لأبي لهب مذمة كما أن لقب أروى وهو حمالة الحطب صار لها منقصة ومغمة وكناها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأم قبيح ، بدل أم جميل .

وربما لهذه الوجوه ذكره الله تعالى في القرآن الكريم بكنيته ولم يذكره بالاسم رغم أن الاسم غالبا ما يعرف به صاحبه مباشرة ويكون الدليل القوي عليه وهناك لطيفة جميلة هي :

أن عبد العزى اضافة الى الصنم وهو لايستحق التكريم ، والله لايعترف بالعبادة الباطلة ولا المعبودين المذمومين لأنه لامعبود بحق سواه ، فلم يذكره الله باسمه لهذا .

ورغم أن تلك اللطيفة مقبولة الا أنها لاتمثل فتحا جديدا ، حيث قد نبه الله تعالى على أن عبادة غيره باطلة مهما كان العابدون ومهما كان المعبودون ، فقال تعالى : " إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ " (1) . ولذا ذكره الله بالكنية دون الاسم .

ثم ان ذكره باسمه عبد العزى تعريف به ، لأن الاسم دائما علم على صاحبه ، الا أن الله أراد الاخبار بقدر بأبى لهب وأنه بين الأعلام كالنكرة لاتستحق الاهتمام ، وليس لها نصيب من الاحترام ، فجاء ذكره بالكنية على هذا النحو بيانا لتلك المنزلة ، وامعانا فى وصف أبى لهب بالمذلة وسوء المنقلب فى الدنيا والآخرة ، " وبيان استحقاقه لأن يدعى عليه بالهلاك ،

---

(1) سورة الأنبياء الآيتان ٩٨ ، ٩٩

وانما كناه والتكنية تكرمة ، لاشتهاره بكنيته ، فليست للتكريم وهى ليست للتكريم ههنا ، أو لكراهة ذكر اسمه القبيح عبد العزى اذ فيه اضافة الى الصنم ، أو مناسبة للنار" (١)

وذكر الامام الخازن فى تفسيره وجوها أُخَر فقال :

" فان قلت لم كناه وفى التكنية تشريف وتكرمة ؟ "

فالجواب من وجوه :

أحدها : أنه كان مشتهرا بالكنية دون الاسم فلو ذكره باسمه لم يعرف ، ومن ثَمّ كان التعبير القرآنى لما هو معروف به ومتميّز عن غيره من خلاله .

الثانى : أن اسمه عبد العزى ، فعدل عنه الى الكنية لما فيه من الشرك ولأن العزى صنم فلم تضف العبودية الى الصنم ، فلما أضيفت لم تنل أى احترام أو اهتمام .

الثالث : أنه لما كان من أهل النار ، ومآله الى النار ، والنار ذات لهب وافقت حاله كنيته وكان جديرا بأن يذكر بها (٢) ، وجاءت كنيته دليلا على العذاب الذى ينتظره .

---

(١) الشيخ اسماعيل البروسوى - تنوير الأذهان مجلد ٤ ص ٦٠٩
(٢) الامام الخازن : لباب التأويل فى معانى التنزيل جـ٤ص ٣١٧

التسمية الثانية : سورة المسد :

ومعنى المسد فى اللغة : هو الحبل المفتول المشدود ، الذى به من الصلابة والمتانة ما يجعله اسما خاصا به وعلما صريحا عليه ، سواء كان الحبل من ليف أو حرير أو خلافه .

أما فى الاصطلاح : فهو الطوق الذى يجذب به أهل النار حتى تلتصق أبدانهم بأرضية النار وقعر جهنم ، فيحصل لهم الألم الشديد ، ويتحقق العذاب الأليم .

وفيه معنى حبس أهل النار فى قيودهم ، كل من عنقه بحيث لا يتمكن المصفّد به من أن يفكه أو يتزحزح عنه ، فكأنه سد على المقيد به كل طريق يطمع فيه أو أمل يتعلق به ، كما أنه قد حبسه على النار حتى لكأنها خلقت له وحده ، وصار هو حصبا لها ، وهو ما يسمى فى فن البلاغة بالقصر .

التسمية الثالثة : سورة تبت : (١)

وتَبَّتْ اسم للهلاك والخراب ، ذلك لأن التباب هو الهلاك والخسران على ما تدل به معاجم العربية ، والمعنى أن أبا لهب : هالك وقد هلك ، لأنه فيما يروى : أخذ حجرا ليرمى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد نجاه الله منه وقد هلك هو ، وعبر القرآن الكريم بهلاك اليدين قاصدا هلاك أبى لهب كله ، وهو من المجاز المرسل حيث أطلق الجزء وأراد الكل ، قال صاحب الكشاف : والمراد هلاك جملته" (١) وليس هلاك جزئه وأعنى به اليدين .

---

(١) الشيخ / محمد على الصابونى - صفوة التفاسير جـ ٣٠ ص ٦١٧

(٢) الامام / الزمخشرى - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل جـ ٤ ص ٨١٣ طبعة دار الريان للتراث .

التسمية الرابعة : سورة اللهب :

اللهب هو ما يرتفع من النار معبرا عنها كأنه لسانها الناطقة به (١) وذلك لشدة اتقادها ، وتسعير موادها حتى عرف فى العلم الحديث بأنه " النار التى تنتج من توهج غاز ، أو بخار مشتعل " (٢) ·

والمعنى أن اللهب واللهيب هو " اشتعال النار " (٣) الموقدة التى يصطلى بها أبو لهب وزوجه ومن كانوا على شاكلتهما ، فكأن اسم السورة جامع لصورة العذاب وشكله ، وصورة المعذبين وأسمائهم ونعوتهم على أن ما يمكن الالتفات اليه هو أن أسماء السورة التى سلف الحديث عنها — المسد ، أبى لهب ، تبت ، اللهب — كلها يجمعها قاسم مشترك هو العذاب الشديد ، ذو القوة الفعالة ، والصنوف المختلفة والنيران المتأججة والأغلال المتعددة " ·

واستخدام المسد وهو الحبل من الليف المضفور الذى أحكم فتله اذا ضم الى العنق واحتمله سبب آلاما شديدة له لأن العرب ما كانت تستخدم الحبل المفتول خاليا ، وانما كانت تضاف اليه أحمال تجر بواسطته ، وفى هذا اعجاز جديد لأنه عبر عن المسبب باستعمال سببه وفيه نكاية وتهديد ، ووعيد شديد ، وعذاب أليم ·

---

(١) المعجم الوجيز مادة ل هـ ب ص ٥٦٥

(٢) المصدر السابق نفسه ص ٥٦٥ ·

(٣) الشيخ اسماعيل حقى البروسوى — تنوير الأذهان من تفسير روح البيان المجلد الرابع ص ٦٠٩ — دار الصابونى ·

(٣) مكية السورة من مدنيتها :

اتفق علماء التفسير على تقسيم معين من خلاله يحكم على السورة كلها أو بعضها بأنها نزلت بمكة أو المدينة ، وتسمى مكية أو مدنية بهذا الاعتبار وصار هذا التقسيم اصطلاحا خاصا بهم تواضعوا عليه جميعا حتى يمكن اعتباره دلالة ومصطلحا خاصا .

بل ان بعض العلماء اهتم بهذه المسألة حتى جعلها علما من علوم القرآن الكريم بل ومن أشرفها قال : من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته وترتيب مانزل عليه بمكة والمدينة ، وما نزل بمكة وحكمه مدنى ، ومانزل بالمدينة وحكمه مكى ، ومانزل بمكة فى أهل المدينة ومانزل بالمدينة فى أهل مكة ، ومايشبه نزول المكى فى المدنى ومايشبه نزول المدنى فى المكى . (١)

ومامن سورة فى القرآن الكريم ، الا وهى بين هذين الأمرين من ناحية التقسيم فيما يتعلق بالنزول ، وقد أفاض العلماء فى ذلك ، كما وضعوا لكل منهما علامات تميزه عن الآخر ، بحيث إذا نظر القارئ الى السورة لاحظ كونها مكية أو مدنية ، متى وضع فى اعتباره تلك الشروط التى جعلوها .

---

(١) الامام جلال الدين السيوطى - الاتقان فى علوم القرآن جـ١ ص ١٢ ، ١٣ ط المعاهد الأزهرية ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م .

من ذلك على سبيل المثال لا الحصر :

١ - أن السورة المكية : هى مانزلت بمكة المكرمة أو بعيدا عنها وكان ذلك قبل الهجرة .

٢ - أن السورة المدنية : هى مانزلت فى المدينة أو بعيدا عنها ولو فى مكة (١) بعد الهجرة .

٣ - أن السورة المكية تعنى بالعقيدة من كافة نواحيها ، تنزيهات ومتشابهات وهو الغالب عليها .

٤ - أن السورة المدنية تعنى بالتكاليف العملية والأخلاقية ، وهو يغلب عليها .

٥ - أن السورة المكية قصيرة من حيث المبنى ، وإن كانت من حيث المعنى كبيرة .

٦ - أن السورة المدنية طويلة من حيث المبنى وهو الغالب عليها .

٧ - أن السورة المكية تبدأ بالتوحيد غالبا ، وبخطاب يأيها الناس أو الحروف المقطعة .

---

(١) هناك خلاف حول مانزل بمكة بعد الهجرة وهل يسمى مكيا أم مدنيا؟

٨ - أن السورة المدنية تبدأ بالحديث عن القرآن والعقود والنبوة السابقة وهو الغالب عليها ، ويأتى فيها النداء غالبا خاصا بالمؤمنين كقوله تعالى "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا" .

إلى غير ذلك من الفوارق التى أبان عنها علماء التفسير وعلومه غير أن البادى فى السور القرآنية ويلمسه الباحث بنظره هو أن آيات السور المكية يغلب عليها العمق اللغوى أيضا الذى يحتاج الى سبر غور العربية معاجم ومصطلحات ، بينما يغلب على السور المدنية الأسلوب المباشر الذى يدركه بنظر بسيط أصحاب الفطر السليمة ، والألباب النقية وان كان التحدى فى اللفظ للجميع والعجز مضروب على الكل .

قال الامام السيوطى : " أعلم أن للناس فى المكى والمدنى اصطلاحات ثلاثة . أشهرها : أن المكى مانزل قبل الهجرة ، والمدنى مانزل بعدها ، سواء نزل بمكة أم بالمدينة عام الفتح أو عام حجة الوداع أم بسفر من الأسفار ......

الثانى : أن المكى مانزل بمكة ولو بعد الهجرة ، والمدنى مانزل بالمدينة ، وعلى هذا تثبت الواسطة ، فما نزل بالأسفار لايطلق عليه مكى ولا مدنى ......

الثالث : أن المكى ماوقع خطابا لأهل مكة والمدنى ماوقع خطابا

لأهل المدينة " (١) فمن أى الأنواع فى النزول جاءت سورة المسد ؟

الجـــــواب :

أن القارئ لسورة المسد يواجه باللون الأول ، وأنها مكية والشواهد له كثيرة منها :

١ - اختيار الألفاظ ذات العمق العربى الذى يتناسب مع العقليـــة المكية ، ذات الطبيعة الجافة والمناخ الصحراوى .

٢ - قوة المواجهة بين كلمة الكبـر التى أرادها أبو لهب وهى تحمل الحقد وتسوق الكراهية وتنذر بالعاقبة غير الحميدة ، فى قـــوله للنبى صلى الله عليه وسلم "تبًّا لك ، ألهذا جمعتنا ؟" وبين قوله تعالى : "تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ" وتلك المواجهة لا تنفك من أول السورة الى آخرها ، وهذا يؤكد على أن السورة مكية لامحالة .

٣ - أن البشارة التى جاءت فى السورة ، بوقوع العذاب على أبى لهـب وشركائه فى هذا الاثم بسبب عداوتهم للنبى صلى الله عليه وســلم ، وتؤكد ماذهبنا اليه مرة أخرى ، لكون البشارة خرجت عن معناهـــا الدلالى الذى عرفت به من الاخبار بالخير الى الأمر الثانى وهـــو الاخبار بالشر وسوء العاقبة ، وذلك ما يناسب العقلية المكية ، من

---

(١) العلامة الامام جلال الدين السيوطى - الاتقان فى علوم القرآن جـ ١ ص ١٣ ، ١٤ .

مقابلة الشر بمثله والداء بالأدا ، والمرض بالأوجع .

٤ — ان المواجهة التى فرضتها السورة فى قوله تعالى : " مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ، سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ " تؤكد على ذلك النسق المكى الذى عرفته العقلية العربية ، من مخاطبة الأقوام بما تدركه الأفهام ، والموازنة بين الحال ومقتضى الحال ، وذلك شائع فى السور المكية على وجه الخصوص .

٥ — أن السورة جاءت ألفاظها جميعا عربية الأصل والمنشأ مع عمق فى المعنى وتقعر فيه ، يدل عليه الايجاز المؤدى الى المطلوب على وجه الاعجاز ، وذلك من قوله تعالى " نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ " وذكر الجيد والمسد فى قوله تعالى : " فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ " .

٦ — الطرق الشديد البادىء فى الفواصل المتقاربة ، كأنه صوت العذاب القادم من بعيد فى قوله تعالى : " تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ " .

٧ — التركيز على عجز المعذبين أمام النوازل ، وأنهم سيجردون من أموالهم التى ظنوا فيها الغنى ، وبنيهم الذين توقعوا منهم

النصرة ، وسمعتهم الذى زعموا فيها الغلبة وذلك فى قوله تعالى " مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ " .

من هذه الوجوه لاحت بواكير السورة وأنها كلها مكية ، وقبل الهجرة ، وقد أنزلت كلها فى وقت واحد ومكان واحد ، وعلى أفراد بالخصوص ، وللجماعات والأمم على وجه العموم ، وكأن الله تعالى رد على أبى لهب دعوته ، فكان التباب له والهلاك عليه ، ولم يصب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانقلب أبو لهب الى الجحيم ، وامرأته معه يتجرعان الحميم ويصطليان نار الجحيم وعقبى الكافرين النار .

ولايغربن عن ذى بال أن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب ، ومن ثم . فكل من فعل مثل صنيع أبى لهب وزوجه مع النبى صلى الله عليه وسلم ، ومع دعوته ، أو معهما ، أو مع دعوته بعده صلى الله عليه وسلم ، فقد استحق نفس العقاب ، وصار له نفس الوعيد .

ولايذهبن ضعيف عقل الى أن السورة عنت أبا لهب وزوجه وقد انقضت عهود عليهما ، فما بالها والعقاب الذى أنزل يوشك الطفل الصغير أن يشيب به رأسه ؟ ! أما كانت السورة فى أبى لهب وزوجه ولم يعد واحد فى هذا العصر والذى سبقه يكنى بأبى لهب أو يقع

له مثل ما وقع ؟

والجواب : أن القرآن الكريم عبرة وعظة ، وهداية ورحمة وشفاء ، ومن قصصه ما وقع لأبى لهب وزوجه وكل من كان على شاكلتهم ، ومن ثم فالمسألة ضرورية ، ولا عبرة بمشاعر طفل غض لم يعرف معنى ما يقرأ كما أن العبرة ليست بمشاعر الطفولة غير المكلفة ، انما المقصود العقول الذكية ، والنفوس الكبيرة ، وهم الذين خصتهم الشرائع واهتمت بهم الأديان ·

ثم متى كانت مشاعر الطفولة حاكما أليست الأمثلة قد تواترت على تقلب المزاج من الأطفال ، وتبدل الأوقات معهم والأحوال ، فما بال المتحمسين لمشاعرهم اليوم يتباكون عليها لمجرد تلبيسات شيطانية وأوهام صبيانية ، والواقع نفسه لايقرهم عليها بل العكس صحيح ·

لقد كانت بشارات القرآن الكريم وانذاراته تتوالى علينا ونحن حدث فينا نعومة الأظافر ، وليونة الأفكار ، فكانت تحفزنا الى طريق الخير طمعا فى الجنة بما فيها من أنهار مختلفة من ماء غير أسن ، ولبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من عسل مصفى ، وأنهار من خمر لذة للشاربين· فكنا نتدافع للخير طمعا فيما فى الجنة من نعيم ·

وكم كنا نقرأ آيات القرآن الكريم فى الانذارات فنرى النار كأنهـــا مشاهدة من نيران لها لفح ، إلى سلاسل ، إلى ماء حميم ، الى غيـر ذلك من وجوه العذاب فكنا نهرب من فعل الخطأ خوف النار التـــى قرأنا عنها فى القرآن الكريم ، وبهذا تربى لدينا سلوك ايجابى لصالـح أنفسنا ومجتمعاتنا ، ونما هذا السلوك ، وكانت تحرسه فينا آيات القـرآن الكريم التى لولاها لكنا وحوشا تسير على رجلين ، ولم يعرف لذة القـرآن الكريم والسنة النبوية الا من ذاقها .

اذن أوهام هؤلاء وشكوك أولئك لاعبرة بها ولاقيمة لها ، وأظنهـم قد غلبتهم أنفسهم اللئيمة ، وحرموا نعمة نور لو فتحوا قلوبهم عليـه لاهتدوا اليه ، ولو تأملـوا فيه بعيدا عن ميدان الحقد والتعصـب والأنانية لكانوا خيرا ولعاشوا سعداء بدل أن يعيثوا فى الأرض فسادا ويموتوا أشقياء .

(٤) سبب نزول السورة :

هناك قاعدة شبه ثابتة لدى علماء التفسير والأصول وهي أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وبالتالي فيمكن أن تتعدد الأسباب في النزول للسورة الواحدة وربما رجح سبب من هذه الأسباب على غيره عند قوم ورجح عليه غيره عند الآخرين بحسب أدلة كل فريق والقاعدة التي يسيرون عليها .

أما أسباب نزول السورة هنا فقد تعددت ، وكلها تؤدي الى نتيجة واحدة ، كما تتعلق السورة بحدث معين ، وهذه الأسباب رغم تعددها الا أنها تنحصر فيما يلي :

السبب الأول :

كشف عداوة أبي لهب البغيضة لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) أخرج البخاري باسناده عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى البطحاء ، فصعد الجبل فنادى : ياصباحاه فاجتمعت اليه قريش ، فقال أرأيتم أن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم ، أكنتم مصدقي ؟ قالوا نعم ، قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبو لهب ألهذا جمعتنا ؟ تبا لك

فأنزل الله " تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ " وفى رواية فقام ينفض يديه وهو يقول تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله السورة الكريمة " (١) .

ورغم أن مضمون الخبر اجتمعت عليه أغلب الروايات الا أنها اختلفت فى بعض التفاصيل مما يضطرنا الى ذكر أغلبها حتى يكون القارىء ملما بها .

" عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا آل غالب ، يا آل لؤى ، يا آل مرة يا آل كلاب ، يا آل عبد مناف ، يا آل قصى :
إنى لا أملك لكم من الله منفعة ، ولا من الدنيا نصيبا الا أن تقولوا لا اله الا الله ، فقال أبو لهب تَبًّا لك ألهذا دعوتنا ؟ فأنزل الله تعالى " تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ " (٢) .

ويروى عن ابن عباس أن الله تعالى لما أنزل قوله جل وعلا " وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ " قام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصفا حتى صعد اليه ثم نادى " ياصباحاه فاجتمع اليه الناس من بين

---

(١) الشهيد/سيد قطب فى ظلال القرآن مجلد ٦ ص ٣٩٩٩ ط ١٠ دار الشروق – الجزء الثلاثون تفسير القرآن الكريم ، ورواه البخارى عن محمد بن سلام عن أبى معاوية بنفس الألفاظ .
(٢) الامام أبو الحسن الواحدى النيسابورى – أسباب النزول ص ٣٤٤ .

رجل يجيء بنفسه ، ورجل يبعث رسوله ، فقال يابني عبد المطلب يابني فهر ، يابني لؤي ، لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني ؟، قالوا نعم ، قال : فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم مادعوتنا الا لهذا فانزل الله تعالى " تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ " (١) .

(٢) "صح في الخبر أنه لما نزل قوله تعالى " وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ " صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا ونادى بطون قريش فاجتمع من جميع القبائل خلق كثير ، حتى جعل الرجل إذا لم يذهب يرسل رسولا لينظر ما الخبر وكان في المجتمعين أبو لهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي " ؟ قالوا نعم ماجربنا عليك إلا صدقا . قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب " تبا لك سائر الأيام ألهذا جمعتنا " وكان أبو لهب يتبع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض غدواته الى القبائل يدعوها الى الله فاذا قال رسول الله " اني رسول الله اليكم (٢) يكذبه عمه ، وينهى الناس عن تصديقه ، فانزل الله السورة بيانا لعداوته وجزاءه من النار .

---

(١) المصدر السابق نفسه ص ٣٤٥

(٢) الامام محمد عبده ، تفسير جزء عم ص ١٧٥ ط الجمعية الخيرية الاسلامية بالقاهرة الطبعة الثانية ١٣٢٩ هـ .

السبب الثاني :

بيان منزلة أبي لهب وزوجه من النـــار :

وتقرير هذا الوجه هو أنه النبي صلى الله عليه وسلم أوذى كثيـرا ، ومن خلق كثيرين ، وكان كل منهم ينتهي به المطاف اما الى الايمـان ، واما الى الكفران ، أو يسارع اليه الهلاك والخسران ، الا أبا لهـــب فقد عتّو وزوجه وكانت بينهم وبين رسول الله قبل البعثة مصاهرة ووشيجة قربى وتــــلاوة نسب ، ومع هذا فلم تنل منهم سبل المودة ولم تنهــــض فيهم حمية المصاهرة ، كما لم تتوغل في أعماقهم وشيجة النسب .

انهما قد عقدا مع الشيطان حلفا ، وضربا مع العداوة والبغضـاء عهدا ، وكانوا أوفياء لما عاهدوا مسارعين لابراز مظاهر تلك العـداوة فاستمرت عداوتهم تزداد حتى قدروا هلاك النبي محمد ودعوته وبشـروا بهذا الهلاك ، وانتصروا للهوى ، يبدو ذلك من قول أبي لهب تبّـاً لك ألهذا جمعتنا .

وما أنشدته أم قبيح من قولها :

" مذمما عصينا ، وأمره أبينــا ، ودينه قلينـا "

فجاء الرد الالهي عليهما وأمثالهما ، بأن الهلاك واقع لامحالة لكنــه على أبي لهب اللعين ، لا على النبي محمد الأمين .

وأن الذم من الكاره الذم واقع لا محيد عنه ، ولكنه على من يحمل من الصفات أكثرها ذما ، ومن النقائص أكثرها شيوعا ، وهي حمالة الحطب زوج أبي لهب . فكأن السورة قد انزلت لبيان مكانهما من النار وانهما استحقا غضب الجبار .

السبب الثالث :

بيان عجز المال والأولاد وغيرهما عن دفع العذاب :

وقد ذكر الامام ابن كثير سببا آخر ، وهو ماروى من أن " الرسول صلى الله عليه وسلم لما دعا قومه الى الايمان ، قال أبو لهب " ان كان ما يقول ابن أخي حقا ، فاني أفتدي نفسي من العذاب بمالي وولدي فنزلت " (١)

السبب الرابع :

كشف الخبث وسوء الطوية ونظرة الاستعلاء :

ومجمله أن أبا لهب كان يرى في نفسه تفوقاً على من سواه ، وعلوا على من دونه ، فلما أعلن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن دعوته

---

(١) مختصر ابن كثير ج ٢ ص ٦٩٠

لم تطب نفس أبي لهب اليها ، رغم أنه كان من العشيرة الأقربين الذى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بانذارهم فى قوله تعالى "وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ" .

غير أن أبا لهب فكر هل يساوى هذا الدين بين أتباعه ، أم سيظل النظام الفوقى والتحتى على نمطهما القائم ، وهل سيقف هذا الدين مدعما مراكز القوى فى مجتمعهم أم سيعمل على المساواة ، وكانت نفس أبى لهب لاتقبل المساواة ، ولا المجتمع التكافئ ، وانما مجتمع العبيد والأسياد ، من ثم : فقد جاء أبو لهب الى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله فقال : ماذا أعطى ان آمنت بك يامحمد ؟ فقال : كما يعطى المسلمون . قال : مالى عليهم فضل ؟ قال وأى شئ تبتغى ؟ قال — أبو لهب — : تبا لهذا من دين ، ان أكن وهؤلاء سواء" (١) فأنزل الله السورة الكريمة.

السبب الخامس :

الرغبة فى مضاعفة الكيد ومزيد الاتهام .

ومؤداه . ماحكاه القرطبى عن طارق المحاربى قال : بينما أنا

---

(١) الشيخ / أحمد الصاوى المالكى — حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين جـ ٤ صـ ٣٦٢ — دار الفكر .

بسوق ذى المجاز إذ أنا بشاب حديث السن يقول : " أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ، وإذا رجل خلفه يرميه قد أدمى ساقيه وعرقوبيه — مؤخرة القدم — ويقول : — الرامى — يا أيها الناس أنه كذاب فلا تصدقوه ، فقلت : من هذا ؟ ، فقالوا : هو محمد يزعم أنه نبى ، وهذا عمه أبو لهب يزعم أنه كذاب" (١) وهكذا كان الناس يعجبون ، فبدل أن يكون أبو لهب عدوا حميما كان الأولى به والأجدر له أن يكون سندا نسبيا ، وان يقده الى هذا اقع الحب ، فأمر محمود ، والا فأمر العصبية قائم مشدود .

بيد أن أبا لهب قطع أوتار المودة ، ومزق حجب المحبة ، وكشف عن طوية خمقاء ، ونفس فى الاضطراب نكداء ، وهموم فى الداخل أقسى من حرارة البيداء ، وعاقبه الله ، فكانت السورة الكريمة وكان انزالها .

ومن ثم . اعتبر هذا من أسباب النزول يضاف الى سابقيه .

السبب السادس :

كشف الحماقة والاندفاع فى أبى لهب .

ذكر الامام الفخر أنه صلى الله عليه وسلم جمع أعمامه فقدم لهم

---

(١) الامام القرطبى — الجامع لأحكام القرآن جـ ٢٠ ص ٢٣٦

طعاما فى صحفة فاستحقروه وقالوا : إنَّ أحدنا يأكل كل الشاة ، فقال صلى الله عليه وسلم لهم كلوا ، فأكلوا حتى شبعوا ولم ينقص من الطعام إلا اليسير ، ثم قالوا فما عندك ، فدعاهم الى الاسلام فقال أبو لهب (١) تبا لك ألهذا جمعتنا .

وذكر الفخر أنه كان " اذا وفد على النبى وفد سألوا عمه عنه ، وقالوا أنت أعلم به ، فيقول لهم أنه ساحر فيرجعون عنه ولا يلقونه ، فأتاه وفد فقال لهم مثل ذلك فقالوا لا ننصرف حتى نراه ، فقال إنا لم نزل نعالجه من الجنون فتبا له وتعسا ، فأُخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فحزن ونزلت السورة " (٢) — فلما سمع بها — أبو لهب — غضب وأظهر العداوة الشديدة فصار متهما فلم يقبل قوله فى الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ، فكأنه خاب سعيه وبطل غرضه " (٣)

كما ذكر الامام الفخر أنه صلى الله عليه وسلم دعا أبا لهب للاسلام نهارا فأبى أبو لهب الاستجابة لنداء الاسلام ، فلما جن الليل ذهب الرسول صلى الله عليه وسلم الى دار أبى لهب مستنا سنة سيدنا نوح عليه السلام بدعوته ليلا كما دعاه نهارا .

---

(١) الامام الفخر الرازى — مفاتيح الغيب جـ ٣٢ ص ٧٥١ ط دار الغد العربى .
(٢) المصدر السابق ص ٧٥٢ (٣) المصدر نفسه ص ٧٥٢ .

فلما دخل الرسول صلى الله عليه وسلم دار أبى لهب قال أبو لهب للرسول صلى الله عليه وسلم " جئتنى معتذرا ، فجلس النبى عليه السلام أمامه كالمحتاج ، وجعل يدعوه الى الاسلام وقال الرسول صلى الله عليه وسلم له " ان كان يمنعك العار فأجبنى فى هذا الوقت واسكت .

فقال أبو لهب : لا أومن بك حتى يؤمن بك هذا الجدى ، فقال عليه الصلاة والسلام للجدى . من أنا ؟ فقال الجدى أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وراح يثنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطلق لسانه يثنى عليه " فاستولى الحسد على أبى لهب فأخذ يدى الجدى ومزقه ، وقال : تبا لك ، أثر فيك السحر ، فقال الجدى . بل تبا لك ، فنزلت السورة على وفق ذلك" (١)

ولعل الأسباب جميعا هى التى تعاونت معا ، وكانت كلها داعية للحديث عنها والابانة عن موقف عدو الله — أبى لهب وزوجه — وأسباب تلك العداوة ، فأنزل الله السورة اجابة عن سؤال هنا . ودفاعا لشبهة ذلك واستعراضا لموقف هؤلاء جميعا ، وبيان المكان الذى سيكونون فيه ونوع الجزاء الذى ينتظرهم وأمالهم ، بل ومن تنطبق عليه سائر نعوتهم الذميمة ، وعقولهم اللئيمة ونواياهم الخبيثة ، وطواياهم المنكودة . والله من ورائهم محيط .

---

(١) الامام الفخر الرازى — مفاتيح الغيب ج ٣٢ ص ٧٥٣

ثانيا : تفسير السورة

أولا : المعنى العام :

أنزل الله القرآن الكريم معجزة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أعجز الله به الانس والجن ، وصار ذلك حكما عاما فى الأولين -وقت نزول القرآن- والآخرين الى قيام الساعة ، تتعدد وجوه اعجازه وتتوالى مع حوادث الدهر وكر الزمان ، وقد أفاض فى بيان هذا المعنى علماء التفسير وعلوم القرآن الكريم ومايزالون لهذا الدور يمارسون .

وسورة المسد من السور المكية التى عنيت بالدفاع عن العقيدة الاسلامية ، وكشف أباطيل أعدائها ، والاخبار بالغيب مطلقا ، سواء كان هذا فى الغيب الماضى ، أو كان من الغيب المستقبل ، أو كان من الغيب الحاضر ، أما عن الغيب الماضى فقد انبأت السورة بهلاك أبى لهب فى قوله تعالى "تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ"، وعن غيب الحاضر قال تعالى " مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ، سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ " ، وعن الغيب المستقبل قال تعالى : "سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ، فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ، وكلها غيوب لادخل للمرء فيها ولاحيلة له ازاءها .

وكما أخبر الله تعالى فى القرآن الكريم ،وأخبر فى سورة المسد ، فأن عاقبة الظالمين وخيمة ، وأن سعيهم قد ضل سبيله ، ومن هـؤلاء عبد العزى بن عبد المطلب ، المكنى بأبى لهب ، الذى هلكت أسباب الخير عنده ، كما هلكت نتائجه كذلك وأنه سوف يلقى الهلاك الفعلى فى الدنيا وذلك قبل خروجه منها ، وأنه لن يتمكن من مفارقة الحياة قبل أن يذوق الهلاك ألوانا ، ويرى الخسران أرسالا ، وفى الآخرة عذاب شديد .

كما أنبأ أن أبا لهب قد وجهت اليه دعوتان ، أولاهما فيها دعاء عليه بالهلاك وحرمانه من متع الحياة ، وثانيتهما أخبار بأن الأولى قد وقعت ، وأن بواكيرها قد وجهت بالفعل اليه ، فقال الله تعالى " تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ " .

بيد أن الناظر الى سياق الآية القرآنية يلاحظ استعمال القرآن الكريم للفظ تَبَّتْ ، والتباب بالفتح الخسران والهلاك ، قال الراغب الأصفهانى : " التباب : الاستمرار فى الخسران " فهو قد جمع بين الهلاك والخسران والاستمرار فيهما والتأكيد على طريقهما ، وقد انصبت هذه الدعوة على يَدَىّ أبى لهب ثم جاءت لفظة وتب ، أى ألزمه الله هلاكا وخسرانا ، بحيث لايمكنه مفارقتها ، ولا الابتعاد عنها (1) وذلك

(1) الراغب الاصفهانى — مفردات غريب القرآن ص ٧٢ ط دار المعرفة بيروت باب التاء ، مختار الصحاح باب التاء .

من باب المشاكلة فى الألفاظ ، حيث قال أبو لهب للرسول صلى الله عليه وسلم ألهذا جمعتنا ، تبا لك سائر اليوم ، فأخبر الله أن الهلاك والخسران واقع كلاهما فعلا ، ولكن ليس على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وانما على أبى لهب ، " قال محمد بن اسحاق : يروى أن أبا لهب كان يقول : يعدنى محمد أشياء لا أرى أنها كائنة ، يزعم أنها بعد الموت ، فلم يضع فى يدى من ذلك شيئا ، ثم ينفخ فى يديه ويقول : تبًا لكما ما أرى فيكما شيئا فنزلت السورة (١) " .

واستعمل القرآن الكريم أسلوبا استخدم فيه التعبير باليد وهى الجارحة التى تعين على دفع المكروه وجلب الخير وأكد أنها الهالكة من أبى لهب اذ هى آلة العمل والبطش " فاذا هلكت وانقطعت أو خسرت ، كان الشخص كأنه معدوم هالك " عد العرب خسرانها ، كناية عن خسران الشخص نفسه ، وهلاكها كناية عن هلاكه كله ، فاذا دعى عليه بخسران يديه فقد دعى عليه بخسرانه " (٢) وقد خسر فعلا ، أما لماذا عنى القرآن الكريم بأبى لهب ههنا وماكان يستحق هذا الاهتمام؟ فالجواب أن ذلك من علم الله ، وقد عنى الله بالعنكبوت والنمل وسائر الكائنات ، فاذا أنزل فى القرآن الكريم سورة تناولت أمور أبى لهب وزوجه وبيته وماله ومن كانوا على شاكلتهم فهذا أمر عادى لايستحق منا

---

(١) الامام الفخر الرازى - مفاتيح الغيب جـ ٣٢ ص ٧٥٣ ، ٧٥٤

(٢) الامام محمد عبده ، تفسير جزء عم ص ١٧٢ مطبعة محمد على صبيح .

الوقوف عنده أو البحث عنه أكثر مما وقع ، ومع ملاحظة أن كل اعتـــراض مندفـــع وكل استشعار منقطع، وانما نؤمن بما أنزل الله فى قرآنه الكريم .

ثم استأنف القرآن الكريم حديثه عن واقع أبى لهب ، وأن مـــا سوف يقع عليه فعلا فى الدنيا ، لن يدفعه عنه مال ولا ولد ، ولا جاه أو حسب ، اذ المال لا يدافع بنفسه لأنه عوض متبدل ، ووسيلة تستخدم من خلال آخرين . كما أنه فى الآخرة سيقع حتما فى الدرك الأســفل من النار وذلك لاستمرار عداوته للنبى المختار ، فقال تعالى " مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ " فلم ينفعه " ماله وماكسب بماله ، وهو رأس المـال والأرباح ، وماشيته وماكسب من نسلها ومنافعها ، وكان ذا سبايـا أو ماله الذى ورثه من أبيه ، والذى كسبه بنفسه ، وفعلا لم يغن عنـه ماله كما لم يغن عنه كسبه وعياله ، وحكى أن بنى أبى لهب احتكموا اليـه فاقتتلوا فقام يحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع فغضب ، فقال أخرجـوا عنى الكسب الخبيث ، وقد يعبر عن الولد بالكسب ، ومنه قوله صلـى الله عليه وسلم " أن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه ، وأن ولده مـــن كسبه " (١) وهكذا فقد أبو لهب دفاع ماله ومنفعة ولده .

وحيث أن الولد والمال هما دائما زهرة الحياة الباسمة وزينـــة الدنيا الناعمة ، من قوله تعالى " ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا " (٢)

---

(١) الامام الزمخشري — الكشاف مجلد ٤ ص ٨١٤ — ٨١٥
(٢) سورة الكهف الآية رقم ٤٦ .

الا أن أبا لهب لم يكن ولن يكون ماله وولده سببا من أسباب متعة الحياة وانما سيكونان أسباب تعاستها بالنسبة له وتنغيصها عليه ، وقد تحقق ذلك فعلا حيث أن بنيه قد تدافعوا من حوله وتنادوا بالقتال على مسامعه ، فلما هب للتفريق بينهم وجد الهزيمة منهم ، كما أنه قد رأى ولده وقد أكله السبع ، بعد أن أخذه منه وهو بين حشد من الحرس والحماة ، كما أن ماله الذى يبذله فى البحث الدائم عن العداوة المستمرة للنبى من شراء للذمم ، ومحاولة تلويث الأعراض من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فسيكون ماله وسيلة دمار عليه ولن يكون صورة من صور النعمة التى تسدى اليه ، وهذا ما يفهم من قوله تعالى : " مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ " .

ثم أخبر الله تعالى بأمر غيبى لم يكن وقع ، وانما سيكون وقوعه فى المستقبل ، هذا الأمر هو تمسك أبى لهب الكفر ، ورفضه لمبدأ الايمان بالله رب العالمين ، وكان لأبى لهب أن يعلن الايمان حتى ينجو من النيران أو يثبت "والعياذ بالله" كذب القرآن ولكن الله هو المخبر عن هذا الغيب ، وأن أبا لهب لن يؤمن أبدا وسوف يتحقق الوعيد الشديد الذى ذكره الله فى القرآن الكريم ، وهو وقوع أبى لهب فى نار حامية شديدة الحرارة ، قاسية المقام ، يرتفع زفيرها من مكان بعيد ، كما أنه فى تلك النار سيذوق من حرارتها وشدة ايلامها ما يصورها على

أنها خلقت له وسعرت نيرانها لملاقاته ، وانها من شدة تلهفها عليه وأمثاله يرتفع لسان لهيبها الى أعلى حتى يغلب بقية أوصافها الأخرى من الحرارة واللفح فقال تعالى " سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ " .

وصف النار بأنها ذات لهب ، انما يمثل شاهد الحال حيث يعبر اللهب عن لسانها الناطق بأن حرارتها شديدة ونيرانها مرهقة . ولما لم يكن العذاب قاصرا على أبى لهب وحده ، بل سيقاسمه فيه من قاسمه فى عداوة النبى صلى الله عليه وسلم فى الدنيا ، وكذلك زوجه أم جميل ، وأنهما حتما سيتلاومان فإن السورة الكريمة كشفت ذلك اللون من العذاب الشامل لكل أبى لهب ابتداء من يديه وزوجه ابتداء من جيدها ولكن حتى النهاية لكل منهما ، وحتما سيقع التلاوم . ولكنه تلاوم لاينفع صاحبه ، ولايجدى فى دفع النار عنه " كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا " وحدد أوصاف زوجه شريكة النار ، وأخبر أنها هى التى حملت أحطاب العداوة لله ورسوله فى الدنيا ، والجزاء من جنس العمل حيث كانت " تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل كانت تمشى بالنميمة ويقال للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم أى يوقد بينهم النائرة ويورث الشر " (١) .

---

(١) الكشاف مجلد رقم ٤ ص ٨١٥

وبالتالى فان أحطاب جهنم سوف تستعد لها وحتما قعر جهنم سوف ينادى عليها لأن النار تعلقت بها كما كان تعلقها هى بعداوة النبى صلى الله عليه وسلم ، مستخدمة حمل الشوك ، وبذر الشقاق ، والعمل الجاد على تدعيم العداوة لله ورسوله ومحاولاتها الدائمة حمل نيران الوقيعة بين النبى وصحبه فاستحقت أن تجازى بما قدمت يداها ، فقال تعالى " وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ " ، قال الامام أبو السعود " كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك فتنثرها بالليل فى طريق النبى صلى الله عليه وسلم لايذائه (١) ، وذكر ابن عباس انها " كانت تمشى بالنميمة بين الناس لتفسد بينهم (٢) .

وعبر القرآن الكريم بصيغة المبالغة " حمالة " لبيان أن أم جميل صار بحشها عن العداوة عملا دائما لاتتوقف عنه ، وصفة ملازمة لاتنفك عنها وتكرر منها هذا العمل القبيح مرات عدة ، واتخذ أشكالا مختلفة من ذلك محاولتها القاء حجر فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم ولكن الله حول وجهها فلم تر النبى صلى الله عليه وسلم ، لأنه حينما انزل الله السورة " وسمعت امرأة أبى لهب مانزل فى زوجها وفيها من القرآن أتت رسول الله وهو جالس فى المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر رضى الله عنه

(١) تفسير الامام أبو السعود جـ ٥ صـ ٢٩١
(٢) تفسير الألوسى جـ ٣٠ صـ ٢٦٣ .

وفى يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليه أخذ الله بصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تر الا أبا بكر ، فقالت يا أبا بكر أن صاحبك قد بلغنى أنه يهجونى والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه والله انى لقائلة مُذَمَّماً عصينا ، وأمره أبينا ، ودينه قلينا ، ثم انصرفت فقال أبو بكر رضى الله عنه ، يارسول الله أما تراها رأتك ، قال ما رأتنى لقد أخذ الله بصرها عنى ، وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم مذمما ، ثم يسبونه ، أى ذو ذمة ، وعهد صادق " (١) .

ويروى الامام الفخر أنها سألت ابا بكر فقالت لأبى بكر رضى الله عنه " قد ذكر لى أن صاحبك هجانى ، فقال أبو بكر ، لا ورب هذا البيت ماهجاك فولت وهى تقول : " قد علمت قريش أنى بنت سيدها " (٢) .

وربما يقال : ان أبا بكر حلف برب هذا البيت أن الرسول صلى الله عليه وسلم ماهجاها فكيف يحلف وهو يعرف أن القرآن الكريم قد ذمها ، وبيّن من أوصافها القبيحة ما بيّن فكيف لايكون هجاء ؟ !

والجواب : " أن أبا بكر حلف أنه ما هجاك ، وهذا من باب المعاريض ، لأن القرآن لايسمى هجوا ، ولأنه كلام الله لا كلام الرسول.

---

(١) العلامة الصاوى — حاشية العلامة الصاوى جـ ٤ صـ ٣٦٢

(٢) الفخر الرازى مفاتيح الغيب جـ ٣٢ صـ ٧٦٢ .

فدلت هذه الحكاية على جواز المعاريض " (١) وأن يمين أبى بكـــر صادق فيه ، وحق لامرية معه .

قال صاحب الهمزية :

وأعدت حمالةُ الحطبِ الفهـــرَ	وجاءت كأنها الورقـــــاءُ
يوم جاءت غضبى تقـــول :	أفى مثلى من أحمد يُقال الهجاءُ
فتولت وما رأته ومـــن أيـــن	ترى الشمسَ مقلةٌ عميـــاءُ (٢)

واستمرار تلك المحاولة من دفعها ابنيها الى طلاق بنتى النبى صلى الله عليه وسلم بغرض تحميله من الأعباء أكثرها ، ومن مواجهـــة الظروف الجديدة التى وقعت لبنتيه ، فربط انثنى عن دعوته ، أواعاد حساباته وهكذا خيل لها فكرها المريض ، فاستحقت بذلك عذابا أضعاف ما يقع على شيلاتها ، ولذلك جاء التعبير بقوله تعالى " حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ " ، وربما صور هذا النقل المنزل حالهـا ، وأنها " تكون فى نار جهنم على الصورة التى كانت عليها حين كانـــت تحمل حزمة الشوك ، فلاتزال على ظهرها حزمة من حطب النار ، مـــن

---

(١) المصدر السابق جـ ٣٢ صـ ٧٦٣ .
(٢) همزية البوصيرى نقلا عن حاشية الصاوى جـ ٤ صـ ٧٦٢

شجرة الزقوم أو من الضريع ، وفى جيدها حبل من ما مُسِّدَ من سلاسل النار ، كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله فى جرمه (١) .

وكما تحدث القرآن الكريم عن أم جميل ، وأنها ستصلى نارا ذات لهب ، وأنها ستعايش عذابا لا ينقضى ، وتعانى من جرح لا يندمل ، تحدث كذلك عن ألوان شتى من العذاب تذوقها وتصطلى بنارها . فقال تعالى : " فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ " ، قال الضحاك وغيره هذا فى الدنيا ، فكانت تُعَيِّر النبى صلى الله عليه وسلم بالفقر وهى تحتطب فى حبل تجعله فى جيدها من ليف فخنقها الله عز وجل به فأهلكها (٢) ، وذكر الخازن أنها كانت ذات يوم حاملة للحزمة أعيت فقعدت على حجر لتستريح ، اذ أتاها ملك فجذبها من خلفها والحبل فى عنقها فأهلكها خنقا بحبلها " (٣) .

وكما أنها ستكون فى النار ، الا أنها ستعايش فى مكابدة تامة الألم الشديد ، حيث يلف حول عنقها حبل به من المتانة ما لا يجعل نقضه سهلا ميسورا ، كما أن به من الثقل ما لا يمكّن حامله من التحرك

---

(١) الكشاف مجلد ٤ ص ٨١٧
(٢) تفسير القرطبى سورة المسد
(٣) تفسير الخازن جـ ٣ تفسير سورة المسد .

بيد أن أم أم جميل لم يقف عند هذا الحد ، بل تخطاه الى حد دفع الناس الى إشعال حرب معه ·

واستمراء ذلك كله ، بل كانت فى كل مرة تنجز فعلتها ، وتحاول الوصول له فى المرة التالية الى ما هو أنكى وأشد ، وأوقع وألد ، وتناست أن الله من ورائهم محيط ، وأن ﴿اللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ · وان أسرف الطغاة فى العداوة ، أو لجوا فى الخصومة فان الله سيحفظ رسوله صلى الله علية وسلم من كيدهم كما سترتد عليهم أحقادهم ·

ولذا جعل الله عقابها من جنس عملها ، نارا تصلاها لاينفك أحدهما عن الاخر ، وحبلا قاسيا يجبرها ثقله وخشونته على أن تركع فى النار مرغمة لاحيلة لها ، فتلتصق جوارحها بأرضية جهنم وقعرها الغوار وتلك عقبى الكافرين النار ·

ومن غريب المفارقات أن الله تعالى صرف عداوة القرشين الى غير النبى من حيث اسمه ، وان كانوا يقصدون منه جسمه واسمه فيما يتعلق بالسب والشتم ، وقد بلغ هذا الأمر غايته ، وكان من مظاهره اطلاقهم أسماء على النبى صلى الله عليه وسلم ووصفه بصفات عكس ما أطلقوها سلفا ·

من ذلك قولهم عنه صلى الله عليه وسلم " مذمما " بدل محمدا وكان صلى الله عليه وسلم يدعو أصحابه الى العجب من هذا الفعل فيقول صلى الله عليه وسلم " ألا تعجبون كيف صرف الله عنى أذى قريش يسبون ويهجون مذمما ، وأنا محمد " (١) وبالتالى تقع أفعال الشيطنة على غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما هذا من معالم نبوته بحيث يقال أن الله صرف أفئدتهم وألسنتهم فوقعوا فى قذف غيره وسب مذمم ٠

أما أم قبيح — العوراء — فقد بادلها النبى اطلاقا باطلاق وذما بذم ، وان كان بديلها فى ذمه لم ينله بسوء ، أما بديله فى تكنيتها وتلقيبها فقد وقع منها أبلغ موقع ، ونالت هذه الكنى منها أدق موضع فكما كنيت بأم جميل ، كنيت بأم قبيح وأم ذميم ، ولقبت بالعوراء .

وهبط بها اللقب الى ماتحت جهنم ، والدليل أنها لما سمعت ما أنزله الله على رسوله فى شأن زوجها وشأنها ، لم تبق صبرا ، ولم تطق احتمالا ، وانما خرجت عن كل مشاعرها وعلى كل قيود قائمة ، وكأن المسألة أمر قصده الهوى ، أو صنعه خيال صاحبه متجاهلة أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما ينطق عن الهوى ٠

---

(١) تفسير الامام الألوسى ج ٣٠ ص ٢٦٤

ولذا فقد حاولت أن تزيد من عداوتها للنبى ، فأتته وهو جالس بالمسجد عند الكعبة ومعه نفر من أصحابه فيهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وفى يدها حجر تستطيع أن تقذفت به أحدا — الوصول به الى هدفها — فلما دنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادت أن تقذف فاه الشريف بالحجر لم يبلغ به الهدف ، ووقفت دونها الغاية .

أجل أعدت نفسها من مكان قريب يصيب المرمى ، لكن أخذ الله بصرها عنه فلم تر الا أبا بكر ، وصارت لاترى الا بعين واحدة وكانت الأولى أحدّ بصرا من الثانية ، وقد تكررت منها المحاولة ، وكلما حاولت أن تصوبها نحو النبى لاترى فقالت ياأبابكر بلغنى أن صاحبك يهجونى ، فوالله لو وجدته لضربت فاه بهذا الحجر ، ثم أنشدت تقول :

" مذمما عصينا ، وأمره أبينا ، ودينه قلينا "

ولم تلبث أن انصرفت ، فقال أبو بكر الصديق للنبى صلى الله عليه وسلم أما تراها رأتك فقال صلى الله عليه وسلم ما رأتنى ، لقد أخذ الله بصرها عنى ولذلك لقبت بالعوراء أيضا .

وهكذا انتهت السورة الكريمة ، بحديث خاص عن الجيد والحبل والمسد ، وهى كلها لوازم القيد ، ومنع الحركة ، وفيها من الضوابط

غير ما ألفته الطباع الفائرة ، وتعود عليه أصحاب النهى المريضة ، فكما ابتدأت بذكر الهلاك والخسران والوعد الحق بتحقق ذلك كله ووقوعه على أبى لهب وزوجه ، ومن كان على شاكلتهما ، كذلك انتهت السورة بالقيود والأغلال الاصفاد وكل ما تؤدى به هذه المهمة ، ويتحقق به نوع العذاب .

اذن فقد اتفق صدر السورة الكريمة مع عجزها على معنى واحد كلى هو أن الهلاك حتما واقع على المكذبين ، وان النار دائما فى انتظار الخارجين على دين الله ، حتى لكأن المعنى فى السورة الكريمة :

" هلكت نفس أبى لهب ، وقد هلك مانفعه ماله وماكسبه بماله من الربح والجاه "(١) سيدخل نارا ومعه زوجه حمالة الحطب ، وفى عنقها حبل مفتول من نار جهنم تذوق به العذاب .

كما أن بالسورة تحديا لو فطن اليه أبو لهب لحاول أن يكذبه ولو مؤقتا ، أو بشكل ظاهرى ، ولكن صرفه الله عنه ودفع به الى الضلال حقده حتى لم يميز بين صورة التحدى القرآنى وبين قواه النفسية التى تخور .. أما كيف ذلك ؟ فالجواب ان الله أخبر فى قرآنه على لسان رسوله الكريم

---

(١) الاستاذ / محمد فريد وجدى ـ المصحف المفسر ص ٨٢٥، ٨٢٦ طبعة الشعب .

أن أبا لهب فى النار ، وأنه سيدخلها ويصلى نارها ، وكان يكفيه أن يعترف بالاسلام دينا ، ويدخل فى دين الله .

بيد أن هذا الاخبار الغيبى تحقق فعلا ، ولم يتمكن أبو لهب ولا زوجه من الرجوع عن ضلاله ، أو يرجع فى غيه ، والله غالب على أمره . وقد خسر أبو لهب ، وكم خسر ، وحتما سيقع فى النار ، وفعلا وقع ، وراحت زوجه تقاسمه نفس المشاعر البغيضة للرسول والدعوة ، وتقع فى الحسرة وتداخلها الحيرة " وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا " (١) .

وكان ذلك كله بسبب كفرهم الدائم ، وشركهم الدؤب ، وقد قال الله تعالى : " إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا " (٢) .

والى هنا نكون قد وقفنا على ما وفقنا الله اليه من المعنى العام للسورة الكريمة داعيا الله أن يبارك ذلك المجهود ، وأن يجعله عنده تعالى مقبولا ، وصاحبه مأجورا ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

---

(١) سورة النساء الآية رقم ٨٧
(٢) سورة النساء الآية ١١٦

((ثالثا : أوجه القراءات في السورة))

ثالثا : أوجه القراءات فى السورة

من المعلوم بين الدارسين أن القرآن الكريم أنزل على سبعة أحرف وجاء به ـ النزول على سبعة أحرف ـ النقل الصحيح فى الحديث الشريف حتى قد روى " حديث نزول القرآن على سبعة أحرف عن جمع كبير من الصحابة منهم عمر ، وعثمان ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأبو هريرة ، وغيرهم ، فهؤلاء ـ الذين عدهم ـ أحد وعشرون صحابيا ، ما منهم إلا رواه وحكاه" (١)

وروى هذا الحديث عن جمع من الصحابة حتى صار من المؤكدات لدى جميع الباحثين فى هذا الفن ، روى أن " عثمان بن عفان رضى الله عنه قال يوما وهو على المنبر" أذكر الله رجلا سمع النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف ، لما قاموا حتى لم يحصوا فشهدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف . فقال عثمان رضى الله عنه : وأنا أشهد معهم" (٢) .

---

(١) الاستاذ الشيخ : محمد عبد العظيم الزرقانى ـ مناهل العرفان جـ١ صـ ١٢٩ .

(٢) المصدر السابق نفسه صـ ١٢٩ .

وروى الامامان الجليلان - البخارى ومسلم - رضى الله عنهما فى صحيحيهما عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اقرأنى جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل استزيده ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف " زاد مسلم : قال ابن شهاب : بلغنى أن تلك السبعة فى الأمر الذى يكون واحدا لايختلف فى حلال ولا حرام "(١) .

ورغم أن القرآن الكريم أنزل على سبعة أحرف ، الا ان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ماكانوا يتساهلون فى فهم هذه الأحرف السبعة التى أنزل عليها القرآن الكريم ، وماكانوا يقبلون قراءة ، الا اذا أشهدوا عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سمعوها منه ، وهذا من أكثر الأدلة على انهم حرصوا على كتاب الله تعالى حروفا وكلمات ومعانى وقراءات ، وأحكاما كما حرصوا عليه عقيدة وشريعة وأخلاقا وآدابا اسلامية .

من ذلك مارواه البخارى ومسلم رضى الله عنهما " أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : " سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرؤها على حروف

---

(١) المصدر السابق جـ ١ ص ١٤٠ .

كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره(١) في الصلاة ، فانتظرته حتى سلم ، ثم لببته بردائه ، أو بردائي : فقلت: من أقرأك هذه السورة ؟

قال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت له : كذبت . فوالله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها ، فانطلقت أقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقلت : يارسول الله اني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ، وأنت أقرأتني سورة الفرقان .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسله ياعمر ، اقرأ ياهشام .

فقرأ هذه القراءة التي سمعته يقرؤها .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هكذا أنزلت .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ماتيسر منه " (٢) ، من ثم فان القرآن الكريم أنزل على سبعة أحرف على ماجاءت به الروايات الصحيحة والتي سلف الحديث عن بعضها .

---

(١) أساوره : أقاتله وأصرعه يقال : ساوره : واثبه وأخذ برأسه في العراك ويقال : ساورته الهموم والهواجس والأفكار ونحوها وصارعته " المعجم الوجيز مادة سور ص ٣٢٧ .

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن جـ١ ص ١٤٠

ما المراد بالأحرف السبعة ؟

الدارسون لعلوم القرآن الكريم تراهم غير مجمعين على المراد من الأحرف السبعة حتى ان حصرهم ربط أبرز وجهات النظر المتعددة . بعضها راجح وبعضها مرجوح ، بحيث ينتهى الأمر بها جميعا الى الترجيح لأنه متى رجح وجه عند قوم ورجح آخر عن آخرين ، فهكذا يرجح كل وجه حتى تجد الاحتمالات القائمة ، وأنها جميعا راجحة وان تفاوتت درجات الترجيح على النحو الوارد فى الأبحاث الدقيقة والكتب المتخصصة لكنا سنذكر أرجحها ، ونحيل الى المصادر :

مذهب الامام أبى الفضل الرازى

" وهو أن المراد بهذه الأحرف الأوجه التى يقع بها التغاير والاختلاف وهذه الأوجه لاتخرج عن سبعة " (١) .

قال الشيخ الزرقانى : " المراد بالأحرف فى الأحاديث السابقة وجوه فى الألفاظ وحدها لامحالة ، بدليل أن الخلاف الذى صورته لنا الروايات المذكورة كان دائرا حول قراءة الألفاظ لاتفسير المعانى " (٢) .

---

(١) الشيخ عبدالفتاح القاضى — الوافى فى شرح الشاطبية فى القراءات السبع ص ٥ .

(٢) مناهل العرفان ج ١ ص ١٥٢

وهذا المذهب عليه أغلب الباحثين . قال الشيخ الزرقاني : " والذى نختاره — بنور الله وتوفيقه — من بين تلك المذاهب والآراء هو ماذهب اليه الامام أبو الفضل الرازى فى اللوائح " (١) وهو كتاب فى علوم القرآن .

وذكر الشيخ الزرقانى أسباب اختياره لمذهب أبى الفضل الرازى وأنها أمور أربعة :

أحدها : انه الذى تؤيده الأدلة فى الأحاديث العشرة التى ذكرها الشيخ الزرقانى فى هذا الباب وماشابهها بخصوص هذه المسألة .

ثانيا : أنه هو الراجح حسب الموازين التى وضعها الشيخ الزرقانى وانهض المذاهب الأخرى لها .

ثالثا : أنه المذهب الذى يعتمد على الاستقراء التام لاختلاف القراءات وماترجع اليه من هذه الوجوه السبعة .

رابعا : أن هذا الرأى لايلزمه محذور من المحذورات التى وقعت فيها الآراء الأخرى" (٢) .

---

(١) مناهل العرفان جـ ١ صـ ١٥٥

(٢) المصدر السابق جـ ١ صـ ١٥٧ بتصرف .

وما دمنا قد قصرنا القول على أن المراد بالأحرف السبعة هو الأوجه التى يقع بها التغاير والاختلاف ، فلامانع من القول بأن قراءات الأئمة السبعة بل العشرة التى يقرأ الناس بها اليوم هى جزء من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن وورد فيها الحديث " أنزل القرآن على سبعة أحرف ، وغيره من الأحاديث .

وهذه القراءات العشر جميعها موافقة لخط مصحف من المصاحف العثمانية التى بعث بها عثمان الى الأمصار بعد أن جمع الصحابة عليها ، وعلى اطراح كل ما يخالفها " (١) .

وطبقا لهذا فلابد من عرض للقراءات التى وردت فى سورة المسد ، مع توجيه تلك القراءة ونسبتها الى القارئ بها ، فما هى أوجه القراءات فى السورة الكريمة ؟

مستعيرا ما قاله الامام الشاطبى :

وَبِاللَّهِ حَوْلِي وَاعْتِصَامِي وَقُوَّتِي ∴ وَمَالِي إِلَّا سِتْرُهُ مُتَجَلِّلَا
فَيَارَبِّ أَنْتَ اللَّهُ حَسْبِي وَعُدَّتِي ∴ عَلَيْكَ اعْتِمَادِي ضَارِعًا مُتَوَكِّلَا (٢)

---

(١) الـوافــي فى شرح الشاطبية ص ٨

(٢) متن الشاطبية الأبيات ٩٣ ، ٩٤ .

* قراءة الامام عبدالله بن كثير المكى :

قرأ ابن كثير : " تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهْبٍ " بإسكان الهاء ، وقرأ الباقون من القراء بفتحها (١) ، وتوجيه القراءة فى اللفظ أن يتم الاحتراز من الوقوع فى تبديل ذات لَهَب ، وأبى لَهْب ، فلما كانت ذات لهب لاتنطق الا بالفتح وهى وصف ، فان ابن كثير قرأها بالسكون فى الهاء لهذا الغرض ، قال العلامة الصاوى " أبى لهب بفتح الهاء وسكونها سبعيتان ولغتان جيدتان ، واتفق القراء على فتح الهاء فى قوله ذات لهب ، والفرق أنها فاصلة فلو سكنت زال التشاكل " (٢) .

وتوجيه القراءة فى المعنى أن أبا لهب صار علما على ذات خاصة به لايمكن لذات أخرى مشاركتها فى تلك المأساة ، لأنها لن تكون الا بالفتح ، وهى ليست المقصودة بالنار عكس الأولى الساكنة .

قال الامام الفخر : " ما الوجه فى قراءة عبدالله بن كثير المكى حيث كان يقرأ أبى لهب . ساكنة الهاء ؟ "

والجواب : قال أبو على يشبه أن يكون لهب ولهب لغتين كالشَّمْع والشَّمَع ، والنَّهْر والنَّهَر ، واجمعوا فى قوله تعالى " سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ " على فتح الهاء وكذا قوله تعالى " وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣) ،

(١) الوافى فى شرح الشاطبية ص ٣٨١
(٢) العلامة الصاوى – حاشية الصاوى جـ٤ ص ٣٦٢
(٣) سورة المرسلات الآية رقم ٣١

وذلك يدل على أن الفتح أوجه من الاسكان ، وقال غيره انما اتفقوا على الفتح في الثانية مراعاة لوفاق الفواصل (١) ٠

* قراءة عاصم بن أبي النجود :

قرأ عاصم : " وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ " وقرأ غيره حَمَّالَةُ الْحَطَبِ ، وتوجيه القراءة على النصب أن يكون المعنى أن أبا لهب سيصلى نارا ذات لهب ، ويخص من نسائه واحدة منهن تشاركه هذا العذاب ، ولن تكون الا حمالة الحطب ، ويكون النصب على الاختصاص المقصود به معنى الذم ، أو الحال من امرأته والمعنى أنها تصلى النار حال كونها حمالة الحطب ، كما ورد أنها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب النار ، كما كانت تحمل الحطب في الدنيا " (٢) ٠

أما على قراءة الرفع في حمالةُ الحطبِ ، فيكون المعنى أن امرأته التى ستقاسمه العذاب هي التى وصفت بأنها حمالة الحطب ، وليس غيرها ، والمعنى بيّنٌ وان كانت الفوارق دقيقة ٠

---

(١) الامام الفخر الرازي — مفاتيح الغيب جـ ٣٢ صـ ٧٥٧
(٢) حاشية الصاوي جـ ٤ صـ ٣٦٣ ٠

قال الامام الفخر : " وقرئ حمالةَ الحطب بالنصب على الشتم " (١)

وقال الجمل : وقرئ بالرفع على أنه نعت لامرأته ، وجاز ذلك لأن الاضافة حقيقية ، أو على أنها خبر مبتدأ مضمر أى هى حمالة .

قال الامام الشاطبى :

" وهاءُ أبى لهب بالاسكان دونوا وحمالة المرفوع بالنصب نــزلا (٢)

* قراءات ذكرها الامام الفخر ولم ينسبها :

ذكر الامام الفخر عدة قراءات فى السورة منها :

(١) تبت يدا أبو لهب وتب " وتوجيه القراءة أن هذه أسماء وكنى فـــى نفس الوقت ، وما دامت أسماء مركبة فان اعرابها على صدرهـــــا والعجـز مضاف اليه وكذلك يكون اعرابها بحركات متعددة والمانع من ظهورها اشتغال المحل بحركة غيرها .

" ويؤيده قراءة من قرأ : تبت يدا أبو لهب ، كما يقال : علـــى ابن أبو طالب ، ومعاوية بن أبو سفيان ، فإن هؤلاء اسماؤهـــم كناهم (٣) قال الزمخشرى " لما أريد تشهيره بدعوة السوء ، وأن تبقى سمة له ، ذكر الأشهر من عَلَمَيْه ، ويؤيد ذلك قراءة من قرأ

(١) الفخر الرازى ــ مفاتيح الغيب جـ ٣٢ ص ٧٦٢

(٢) الوافى فى شرح الشاطبية باب فرش الحروف من سورة العلق الى آخر القرآن ص ٣٨١ .

(٣) الفخر الرازى ــ مفاتيح الغيب جـ ٣٢ ص ٧٥٥ .

يدا أبو لهب "(١) قال الشيخ أحمد السكندرى : " وفى هـذا دليل لأن الرفع أسبق وجوه الاعراب وأولها ، ألا تراهم انمـا حافظوا على صيغته التى بها اشتهر الاسم ، وكانت أدل أحواله"(٢)

(٢) سيصلى نارا ذات لهب " ذكر الفخر أن فيها قراءات ثلاث:

أ — قرئ بفتح الياء " سَيَصلى "

ب — قرئ بضم الياء المخففة " سيُصلى "

جـ — بضم الياء مشددا " سيصلى " (٣)

(٣) وامرأته حمالة الحطب :

قرئ ومريئته بالتصغير كما قرئ(٤) ومريته للتصغير(٥) ، والمعنى أنهـا المرأة الحقيرة فى نساء أبى لهب ، لأن التصغير يكون للاحتقـار أو الاختصار ، وربما يكون للتعظيم ولكل شاهد حال يدل عليـه ، وشاهد الحال ههنا أنها امرأة حقيرة ستصلى نارا ذات لهـب، وفى عنقها حبل من ليف لم تعهده .

قال الفخر : لِمَ لَمْ يكتف بقوله وامرأته ، بل وصفها بأنها حمالـة

---

(١) الكشاف جـ ٤ ص ٨١٤
(٢) الشيخ أحمد بن المنير الاسكندرى — الانتصاف بهامش الكشاف ص ٨١٤
(٣) الامام الفخر الرازى — مفاتيح الغيب جـ ٣٢ ص ٧٥٩ .
(٤) المصدر السابق ص ٧٦١
(٥) الكشاف جـ ٤ ص ٨١٥ .

الحطب ؟

والجواب : قيل كان له امرأتان سواها ، فأراد الله تعالى أن لايظن ظان أنه أراد كل من كانت امرأة له ، بل ليس المراد الا هذه الواحدة " (١) .

واستحب الزمخشري قراءة النصب في " حمالةَ الحطب ، قال : وقرئ حمالة الحطب بالنصب على الشتم ، وأنا استحب هذه القراءة ، وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من أحب شتم أم جميل وقرئ حمالةٌ للحطب ، وحمالةٌ للحطب ، بالتنوين والرفع والنصب " (٢) .

والى هنا نتوقف عند عرضنا ما يسر الله لنا من وجوه القراءات وكيفية توجيهها على النحو الذي بدا شئ يسير منه ، وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

---

(١) مفاتيح الغيب جـ ٣٢ ص ٧٦٣

(٢) الزمخشري — الكشاف جـ ٤ ص ٨١٥ .

((رابعا : النكت البلاغيــة))(1)

البلاغة فن من فنون الكلام الرفيع ، عنى بها القدماء فأنشأوا لها البيان والمعاني والبديع ، وتميزت بدقة القول والتعالي عن الوضيع فحازت الايجاز والاعجاز ، وعرّفها الواقفون عليها بأنها : " مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، كما عرفوها بأنها تنبئ عن الوصول والانتهاء ويوصف بها الكلام والمتكلم " (2) ، وقال الخطيب القزويني : " البلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته ، وهو مختلف ، فإن مقامات الكلام متفاوتة " (3) .

قال الشيخ الأخضري :

وجعلوا بلاغة الكـــلام   طباقــة لمقتضى المقـام (4)

من ثمّ فقد قسموها إلى علوم ثلاثة هي :

أ ـ البيــان :

وعرفوه لغة بأنه " المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير " .

---

(1) النكت جمع نكتة ، وهي الفكرة اللطيفة المؤثرة في النفس ، وتعرّف بأنها المسألة العلمية الدقيقة التي يتوصل اليها بدقة وانعام فكر" المعجم الوجيز مادة ن ك ت ص ٦٣٣ وكتاب النكت في اعجاز القرآن للرماني .

(2) الامام الجرجاني ـ التعريفات ص ٤٠ .

(3) الشيخ : محمد عبد الرحمن القزويني/تلخيص المفتاح ص ٦١٨ .

(4) العلامة عبد الرحمن الأخضري ـ الجوهر المكنون في الثلاثة فنون ص ٧١٩ مجموع مهمات المتون .

واصطلاحا : بأنه علم بأصول يعرف بها ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة الدلالة فى الوضوح والخفاء ، مع رعاية مقتضيات الحال ، بحيث لايؤتى بالمجاز فى مقام يقتضى الحقيقة ولاعكسه(١) ، كما يعرف بأنه : " علم يعرف به ايراد المعنى الواحد بتراكيب مختلفة فى وضوح الدلالة على المقصود بأن تكون دلالة بعضها أجلى من بعض (٢) ، والتعريف بأنه علم بأصول يعرف بها أدق من غيره وأولى بالاعتبار من سواه .

ولما كانت العلوم تعرف بموضوعاتها وتحد بتعريفاتها ، وتبدو الغاية منها بثمارها ، فان ثمرات علم البيان هى " معرفة أن القرآن معجز ، وأن بلاغته خارجة عن طوع البشر ، من حيث اشتماله على الحقيقة وغيرها المناسب كل منها للمقام الذى وقع فيه " (٣) وهكذا فان البلاغة تخدم معرفتها طالب الفهم فى القرآن الكريم من حيث أنه معجز وأنه كلام رب العالمين .

قال الشيخ الأخضرى :

فَنُّ الْبَيَانِ عِلْمُ مَا بِهِ عُرِفْ	تَأْدِيَةُ الْمَعْنَى بِطُرُقٍ مُخْتَلِفْ
وُضُوحُهَا وَاحْصُرْهُ فِي ثَلَاثَةٍ	تَشْبِيهٍ أَوْ مَجَازٍ أَوْ كِنَايَةٍ

---

(١) الشيخ / عبدالخالق بن حجاج بدر الشهراوى - منور الأذهان فى علم البيان ط ١ المطبعة الشرقية ص٣

(٢) الشيخ / عبدالحى الحسينى - معارف العوارف فى أنواع العلوم والمعارف ص ٣٦ ط الثقافة الاسلامية .

(٣) الشيخ عبدالخالق بن حجاج - منور الأذهان فى علم البيان ص ٣ .

ب — علم المعانى :

وعرفوه بأنه " علم تعرف به أحوال اللفظ العربى التى بها يطابق اللفظ لمقتضى الحال " قال العلامة الأخضرى :

علم به لمقتضى الحال يــرى ∴ لفظا مطابقا وفيــه ذكــرا

ج — علم البديــع :

وعرفوه بأنه " علم تعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقــة لمقتضى الحال وبعد رعاية وضوح الدلالة (١)

قال الشيخ الأخضرى :

علم به وجوه تحسين الكــلام ∴ يعرف بعد رعى سابق المرام

ثم وجوه حسنه ضربــــان ∴ بحسب الألفاظ والمعانــي (٢)

وقد برع علماء الاسلام فى الحديث عن البلاغة وفنونها ، ومسائلهــا ودونوا ذلك شعرا ونثرا ، وقاموا عليه تحقيقا وتعليقا وشرحا ، بحيــث يجد المرء نفسه وسط خميلة من الألفاظ المنتقاة ، والمعانى الجزلــة التى تقف مع عذوبة الألفاظ مغــردة بأن العربية صقلت لسان العــرب واحكمت أفئدةَ وألسِنَةِ العجم ٠

---

(١) الدكتورة / فاطمة محجوب — الموسوعة الذهبية للعلوم الاسلاميــة مجلد ٧ ص ٤٠٢ ط دار الغد العربى ٠

(٢) الجوهر المكنون فى الثلاثة فنون ص ٧٣١ ٠

وصح القول : بأن ادراك العرب بلاغـة القرآن وفهم أسرار أساليبه كان أمرا فطريا فيهم" (١) بل أن الكثيرين من علماء العربية ربما اعتبـروا القرآن الكريم معجزا من وجوه كثيرة أبرزها بلاغته ، غير أن هذا الموقـف لم يرق شيخ البلاغيين — الشيخ عبد القاهر الجرجانى — الذى جعلهـا — البلاغة القرآنية — الوجه الوحيد للاعجاز" (٢) ٠

" لقد عد كثير من العلماء قبل عبد القاهر البلاغة من بين وجـــوه اعجاز القرآن ، ولكن عبد القاهر من بينهم جعلها الوجه الوحيد للاعجاز"(٣) ونحن لانتفق معه فى هذا الحصر ، وانما نميل الى أن الاعجاز وقـــع بكافة الوجوه فرادى ومجتمعه ، فعند انفرادها يقع الاعجاز والتحدى بـه وعند اجتماعها يقع التحدى بها جميعا والاعجاز فيها جميعا ، وهو مـا عليه أهل الفن وبخاصة علماء التفسير وعلوم القرآن " ٠

---

(١) الاستاذ الشيخ — حسن منصور — الدين الاسلامى جـ ٢ ص ١٧٣

(٢) هو الشيخ / عبد القاهر بن عبد الرحمن أبو بكر الجرجانى — النحوى المشهور كان من كبار أئمة العربية وله المغنى فى شرح الايضاح واعجاز القرآن ، والمفتاح ، وأسرار البلاغة ، ودلائل الاعجاز ، وغيرهـــا عاش ٤٠٠ / ٤٧١ هـ ٠ ياقوت الحموى — فوات الوفيات جـ ١ ص ٣٧٨ ، ٣٧٩ سنة ١٢٨٣ هـ ٠

(٣) الامام عبد القاهر الجرجانى — دلائل الاعجاز تعليق وشرح الدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجى ص ٣٥ ط مكتبة القاهرة ١٩٨٠ / ١٤٠٠ هـ

وربما نلمس لشيخ البلاغيين العذر أو قبول الرأى متى عرفنـا أن الخلاف قائم بين المفكرين قديما على أن التحدى فى القرآن الكريم هل وقع بالكلام الذى هو صفة الذات ، أم وقع بالكلام الدال على تلك الصفة وهو الألفاظ .

والذى عليه الجمهور أن التحدى " وقع بالدال على القديم وهـو الألفاظ" (١) ، فربما مال شيخ البلاغيين الى التمسك بأن وجه اعجـاز القرآن الكريم بلاغته بناء على ماسلف ، والا فان الاخبار بالمغيبات وجـه دقيق من وجوه اعجاز القرآن الكريم ، وله فى نفوس العلماء قدر وأى قدر؟

من ثم فان القرآن الكريم ببلاغته ، وعلو أسلوبه ، وجزالة معانيـه مع الفصاحـة والسلاسـة ، قد نال قدرا من العناية ومايزال ، ولهـذا فان السورة الكريمة قد جمعت بعض هذه الوجوه ، والنكات البلاغية ممـا يدعونا الى الاشارة اليها مع الشرح الموجـز والتعليق عليها حسـب جهدى المتواضع .

والحق أن السورة الكريمة قد ابتدأت وانتهت بوجوه عديدة مـن البلاغة وعلومها ، وسنحاول وضع هذه ـ حسب توفيق الله ـ على النحـو التالى :

---

(١) الامام الشيخ جلال الدين السيوطى ـ الاتقان فى علوم القرآن جـ ٢ صفحة رقم ٢٠٠ .

(١) خبرية اللفظ انشائية المعنى :

من ذلك قوله تعالى : " تبت يدا أبى لهب وتب ، والآية انشائية في المعنى لأنها تحمل التهديد ، وغيها الدعاء على أبى لهب بالهلاك ، بعد الاخبار بأنه هالك ، ثم وبالتالى فهى انشائية المعنى لما سلف ذكره .

ثم انها خبرية لأنها طبقا لمقاييس البلاغيين خالية مما نقل عنهم من وجوه الاستفهام والانكار وغيرها من الوجوه ومن حيث أن القرآن الكريم ذكرها كخبر من أخبار " فان الفهم ينطوى على أن هذا الخبر بوقوع العذاب على ذلك اللعين ، ومن جاء ذكرهم بعده ، أو معه فى ذات السورة ، واخبار الله صدق كلها ، ومن أصدق من الله قيلا ومن أصدق من الله حديثا .

(٢) التناسب والتناسق :

يبدو هذا الأمر فى تناسق الآيات القرآنية مطالعها ونهاياتها حتى انك تشعر بالمعانى تتوالى آخذة بعناق بعضها ، متشابكة الأيادى مع ترتيب الأحداث ، وتسلسل الوقائع فى أربع آيات من السورة الكريمة وابقاء الأخيرة منتهية بالدال بدل الباء " من مسد " حتى تكون متناسبة مع مطالع سورة الاخلاص ، مهيئة الى أن خلاص النفوس فى الاخلاص لله رب العالمين .

(٣) التفصيل والافـراد :

وهذا الوجه برز فى ذكر أبى لهب ، وزوجه ، وأقرار العذاب لكل واحد منهما ، وذلك من قوله تعالى " تبت يدا أبى لهب وتب .. وفـى قوله تعالى " وأمرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد " فكـان المعنى أن أبا لهب هيئت له نار يأكلها ، وكذلك أم ذميم ، وقـــد يسمى هذا الوجه ذكر الخاص بعد العام ، والغرض ابراز المعقول فـى صورة المحسوس ، حتى يكون بارزا للعيان .

(٤) اطلاق الجزء وارادة الكل :

وهذا الوجه هو المجاز المرسل (١) بعينه ، وفيه استعمال قولـــه

---

(١) علماء البيان يرون المجاز لفظا مشتركا يجمع بين :
١ـ المجاز بالحذف : مثاله قوله تعالى واسأل القرية أى أهلها .
٢ـ المجاز بالزيادة : مثاله قوله تعالى : ليس كمثله شىء .
٣ـ المجاز العقلى : مثاله هزم الأمير الجند وهو فى قصره .
٤ـ المجاز اللغوى : مثاله وهو مفرد أو مركب ولهم فيه حديث طويل
٥ـ المجاز الشرعى : مثاله استعمال الصلاة فى الدعاء .
٦ـ المجاز الاصطلاحى : كاستعمال الفاعل اذا استعمله النحوى فيمن أوجه الفعل .
٧ـ المجاز العرفى : مثاله استعمال لفظ الدابة فى كل من يدب
٨ـ المجاز بالتقديم والتأخير .
٩ـ المجاز المرسل : مثاله رعينا الغيث .

ينظر منور الأذهان فى علم البيان ص ٧ / ٩

تعالى " تبت يدا أبي لهب " ، وليس المقصود بالعقاب اليدين ، والا كان الأمر سهلا ميسورا ، وماتناسب مع حجم الجرائم التى ارتكبها ، وانما البلاغة القرآنية ذكرت اليدين وقصد الجسد كله بدليل وقوع العذابَ عليه كله ، ولأن اليد هى وسيلة كسب الخير ، ودفع الشر فكان الأولى أن تقوم بهذا الوجه ، الا أن المسألة انقلبت فصارت لدفع الخير وجلب الشر ، حتى كأنها بذاتها قد قدمت نفسها وصاحبها قربانا الى النار فاستحقتا الهلاك معه ·

(٥) تعدد الاستعارة وبروزها :

ذلك أن وجود الاستعارة فى السورة الكريمة بارز فى قوله تعالى " ما أغنى عنه ماله وماكسب " حيث شبه المال بالانسان القوى الذى يغنى صاحبه عند دفع المكروه ، ويستعين به صاحبه عند الشدائد ·

ثم حذف المشبه به ، وذكر المشبه على سبيل الاستعارة المكنية ، وهو آكد فى الضعف ، وأشد فى الايلام ، حيث يفقد الانسان — فى لحظة الحرج والشدة — نصرة من كان يأمل منهم النصرة ، ويتوقع معهم الغلبة ، وذلك أدخل فى الحسرة ، وأوقع فى الندامة ، ولكن أنى ينفع الندم ، أو يفيد الاعتذار ؟

(٦) وجود الوصـــل :

وذلك بين فى قوله تعالى : " سيصلى نارا ذات لهب ، وبيـــن قوله تعالى : وأمرأته حمالة الحطب " ، حتى يفيد أن الأمرين يجمـــع بينهما التلازم الذهنى والعقابى ، وتسلسل الأحداث .

(٧) ابراز المعقول فى صورة المحسوس:

ولعل هذا يبدو فى قوله تعالى : " نارا ذات لهب" ، وقـــوله تعالى : " حبل من مسد " اذ أن العذاب الأخروى بالنسبة لأهـــل الدنيا ، معقول عند المؤمنين بالبعث والثواب والعقاب ، وكونه معقـــولا يحتاج الى صورة محسوسة تبرزه حتى تجعله ماثلا فى الأعيان كما هـــو مركوز فى الأذهان ، فجاء قوله تعالى " نارا ذات لهب " .

ومع كونها محسوسة يلمسها كل مبصر واعى ، الا أن القرآن الكريم ذكر أبرز أوصافها وهو الاحراق ، والألم السريع الصادر عن اللهـــب المنبعث منها ، الصادر فى ذات الوقت عنها ، كأنه اللسان الناطـــق يذكرها المتحدث الرسمى بديلا عنها .

وهذا أبلغ فى الاعتبار ، وأذكى عند الأفهام والأنظار ، وأوجـــع على الكفار .

وقوله تعالى : " حبل من مسد " فيه معنى الكناية المرشحة عن صفة المتانة والصلابة والخشونة ، هذا من كنايات القرآن الكريم وتعاريضه ولله أساليب الكناية " التنبيه على مصير " نحو تبت يدا أبى لهب ، أى جهنمى مصيره الى اللهب ، حمالة الحطب فى جيدها حبل ، أى نمامة مصيرها الى أن تكون حطبا لجهنم فى جيدها غل (١) ٠

فرغم أن أم جميل سوف يلف حول جيدها جسم حديدى يتناسب مع نار جهنم التى ستكون فيها ، لاليونة فيه ولا مرونة ، الا أن هذا النوع من العقاب مضطرد قائم على الدوام والاستمرار والتدفق بجانب شدة الايلام ٠

وقد سماه القرآن الكريم حبلا ، حتى يتناسب مع أفهام المخاطبين حيث قد جرت عاداتهم بأن أقراطهم وماتزين به جيدهم يكون أساسه الحبل المفتول سواء كانت تلك الزينة من ذهب أو جواهر أو غيرها حتى ولو كان من حباب الخرز ، وأن الحبل يكون هو المركز الذى يجمع ذلك كله ٠

---

(١) الامام جلال الدين السيوطى — الاتقان فى علوم القرآن جـ ٢ ص ٩ ٧

فكذلك أبرز القرآن الكريم الأمر المعقول الأخروى ، والذى سيكون لأم جميل بديلا عن عقدها الذى أنفقته فى ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيكون الأصل فيه حبل أيضا لكن يحمل من أحجار النار ما يتحقق بها الألم ، ولا يتمكن من دفعها أى كائن من كان .

لذلك أتى القرآن الكريم بهذا الوجه بيانا للأمر كله وتفتيشا عن كل دخيلة فيه .

وذكر الشيخ الصابونى فى السورة نكتا بلاغية تقوم على :

١ — المجاز المرسل : وذلك فى قوله تعالى : يدا أبى لهب ، حيث أطلق الجزء وأراد الكل ، أى هلك أبو لهب .

٢ — الجناس بين أبى لهب وبين ذات لهب ، فالأولى كنيته ، والثانية وصف للنار .

٣ — الكنية للتصغير والتحقير ، لأبى لهب فليس المراد تكريمه بل تشهيره كأبى جهل .

٤ — الاستعارة اللطيفة فى قوله تعالى حمالة الحطب ، مستعار للنميمة وهى استعارة مشهورة ، قال الشاعر :

ولم يمش بين الحى بالحطب الرطب .

٥ — النصب على الشتم والذم :

وذلك من قوله تعالى : " وامرأته حمالة الحطب " أى أخص بالذم حمالة الحطب .

٦ — توافق الفواصل مراعاة لرؤس الآيات وهو من المحسنات البديعية .[1]

---

(١) الاستاذ الشيخ / محمد على الصابونى — صفوة التفاسير جـ ٣٠ صفحة ٦١٩ .

((خامسا : قصص السورة))

((خامسا : قصص السـورة))

قصص القرآن الكريم حق كله ، صدق كله ، أشخاصه وأحداثه ، مكانه وزمانه ، موضوعه وحواره ، حتى لو كان عن قصص الحيوان ، بل ان قصص القرآن الكريم كلها تؤدى غاية معينة بجانب أنها أخبار صادقة دقيقة ، فهى كذلك من عالم الواقع وان لم يدركه الناس .

وكيف لا وقد حكى الله " عن الهدهد وهو من العالم البهيمى أنه وحد الله تعالى ، واحتج على صحة توحيده بذلك حيث قال سبحانه حاكيا عنه " ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السماوات والأرض " يعنى المطر والنبات ، فأحتج بحدوث هذين الأمرين المعلوم حدوثهما مع تكررهما ، وحاجة جميع الحيوانات اليهما مع أنه ماقرأ فى المنطق ، ولاعرف علم الكلام وقد قرر الله سبحانه وتعالى كلامه وحسنه (١)

وغير خاف أن السورة كلها فيها أخبار بأمر وقع ، وصار هذا الاخبار بالنسبة لمعاصريه ومن بعدهم حدثا يذكر من حين لآخر ، وقصة تتلى على مسامع العقلاء تبين لهم جزاء الظالمين ، وعقبى الخاسرين

---

(١) الشيخ / محمد بن ابراهيم الوزير الصنعانى - ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ص ٤٩ ط المعاهد الأزهرية ١٣٤٩ هـ .

وهو فى نفس الوقت معجزة للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بالله رب العالمين ٠

ولما كان هذا الخبر القرآنى يسوق القصة فى نصوصه فقد اعتاد المؤلفون فى التفسير أن يذكروا الأطراف العديدة فى السورة سواء أكانت عقيدة أو شريعة أو اخلاقا ، أو كانت أخبارا أو قصصا أو أحكاما ، وسواء كان ذلك الاعجاز والتثبت والاعتبار ، أو التعبد والاهتداء بها والاتعاظ والتذكار ٠

وهانحن نجرى مع المفسرين مجراهم ، فنرى السورة الكريمة قد ذكرت قصصا عديدة بعضها مصرح بأبطاله وأشخاصه الأساسية وأفكاره القائمة ، وأهدافه التى وقف نفسه عليها وكان له فيها النصيب الأوفى ، كقصة أبى لهب ، وقصة حمالة الحطب ٠

وبعضها جاءت الاشارة اليه فى السورة الكريمة وتفاصيله مما ذكره المؤرخون والمفسرون ، وجاءت الاشارة تلميحا كقصة عتيبة بن أبى لهب وذلك من قوله تعالى " ما أغنى عنه ماله وماكسب " ، فقد ذكر المفسرون عتيبة ضمن ماكسب ٠

بيد أننا نقصر قصصنا في السورة على ثلاثة ، لأنه قد بان أن لكل منها مكانه في النار وغضب الجبار ، وتلكم القصص بأشخاصها الأساسية هي : قصة أبي لهب — قصة أم جميل — قصة أبنهما عتيبة على ما ذكره المفسرون .

أولا : قصة أبي لهب :

المكان : مكة .

الزمان : قبل عام الفيل .

الحدث : أم تنتظر وليدها ، وعبد المطلب يرقب موقف زوجه وظروفها الصحية .

الأشخاص: أخوة أبي لهب الأكبر سنا منه وبعض أصحاب عبد المطلب ، زوجه .

في غرفة نائية من المنزل الواسع تشعر الزوجة بألم المخاض في قسوة لم تعهدها ، وشدة لم تألفها ، وعذاب ما كانت تنتظر مثله ، وتدور بها الآلام ، وتحاول التماسك فلا يجدي معها العزم ، فتتمنى لو أنها ما انشغلت بهذا الحمل ، ولا انتظرت مقدمه التعس ، وراحت تصارع الآلام العنيفة ، والمخاض يهز كل شيء فيها ، حتى بات من المؤكد هلاكها .

وفجأة يقترب عبد المطلب منها ويسأل الله أن يخفف آلامها ، ويزيد الرجل فى سؤاله ، وكان صاحب سؤال واتجاه نحو الاله ، فيخرج الجنين من أحشائها ولم تتمكن من النظر اليه ، لأن الألم نال منها كل جهد ، واستنفذ فيها كل طاقة .

وبعد أن فاقت من غفوتها راحت تنظر وليدها فاذا هو جسم ملتهب الوجنات من شدة الألم والمعاناة التى لحقت بأمه ، ومعروف علميا أن الطفل الذى تعانى أمه أثناء المخاض يحتبس جزء كبير من الدم فى كل بدنه فيخرج من أمه وهو داكن اللون يميل الى الحمرة المفتعلة أو السواد العارض ، والعرب تسمى هذه الحالة لهبة ، وصاحبها يقال عليه أبو لهب والأنثى تكنى بها كذلك ، وهى تكنية فيها من القسوة بقدر ما فيها من التشاؤم .

لذا سماه أبوه عبد العزى ، على غير عادة الرجل فى اطلاق الأسماء على أبنائه ، وكنى بأبى لهب ، ورغم أنها صفة ذميمة ، الا أنها بلغت مع صاحبها كل مبلغ حتى صارت علما عليه تحل منه محل الاسم ، وكان يشعر بالفخر لهذه التكنية كأنها سلاح يهدد به من يريد منازلته على عادة العرب فى تسمية بنيهم أسماء فيها شدة وقسوة . وكأنه يقول للخصوم اننى نذير شؤم ومقدم شر ، وبداية خراب فان اقتربت من أحد دمرته ،

وان تعامل معى أحد أناقته من الهوان مالم يسمع به ٠

تمر الأيام ويتعامل أبو لهب مع أخوته فاذا هو خصيم مبين لايهدأ لهم ولا يلين معهم ، بل دائما يشق عليهم عصا الطاعة ، ويفرق فيما بينهم من جماعة ، يقطع الرحم كلما وصلوا ، ويحرم بقدر مايعطون حتى كان والده قلما ينظر اليه أو يكلفه من العمل ولو القليل ٠

ويبدو أن والده تهيأ له من الأسباب مامكنه من مطالعة أفكار بنيه فاذا هو يبهم خبيره بيد أن أبا لهب شرع عن ساعده ، واعتزل والده مبكرا ، وراح يكون لنفسه شخصية من خلال مجد أبيه التليد ، وتاريخه العريض ، وسدانته للبيت العتيق ، متخذا اسم العائلة ملجأ ، ومن كنيته متكئا ، فصار يبحث عن العداوة لاخوته وأبنائهم بل ويجد في طلبها متى وجد الى ذلك سبيلا ويكفى أنها عداوة ذاق بعض لهيبها أبوه عبد المطلب رغم زحف المشيب اليه ، وكان عبد المطلب لايرتاح لعبد العزى ٠

وبعد وفاة والده تطلع أبو لهب للزعامة العامة لعله يكون في يوم ما زعيما للقرشيين جميعا ، ولما بدا له أن بالامر صعوبة أختار زوجا له بعيدة عن بني هاشم فكانت أروى بنت حرب شقيقة أبي سفيان ليضمن بذلك أصواتا عديدة تعلو فوق نادى قريش فتغلب على آراء رجالها

ويخضع الجميع لرغبة عبد العزى ويكون عليهم جميعا ، رأسا فوق الرجال وجبلا على هامات الرمال ، يسانده صهر عنيد وزوج لها من الكبر العديد ، ولكنه لم يفلح فيما نهض اليه ، ولم تتحقق أمنية واحدة له فراحت زوجه تطلق لسانها في الناس ، وتحمل اليهم أسباب الخلاف بل وتفرض ضميرها الساذج على حياة الناس الوادعة مستندة الى خشونة أبي سفيان وضعف حرب عن تقليم أظافره الخربة .

وكان الله اختار لأمة العرب والعالم أجمع نبيا يخرج من العرب ، هو سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وبدأت أرهاصات النبوة تجد طريقها اليه صلى الله عليه وسلم ، ولذا هب أبو لهب يحقد ويحسد النعمة علية .

ولما تأكد أن له فرصة الاختلاف مع هذا النبي -رغم انه ابن أخيه لاتجدى ولامبرر لها ، وكان قد اختار بنتيه لتكونا زوجين لولديه ، وكان ذلك قبل البعثة فاختار رقية لعتبة ، وأختار أم كلثوم لعتيبة ، ليضمن بذلك مال خديجة ، وسمعة محمد وبخاصة أن ولديه أظهرا له تعلقهما بالعروسين ، ولم يكن النبي قد بعث بعد .

وتم الزفاف على عجل ، وأختار الله النبي مرسلا ، وهنا يفجع أبو لهب أيكون اليتيم نبيا وهو لايكون ؟ ورغم أن أبا لهب لم يكن

يطمع فى النبوة ، لكنه رأى فيها لونا من الزعامة ، والتمس منها شارب الرياد ة وكان يكفيه لو أعلن ايمانه بالله — واتباعه لسيد نا محمد أن يحتل من الناس تلك المكانة وان لم يكن نبيا · لعلاقته بالنبى محمد حيث أنه عمه نسبا ، ومن حيث أنه تقع المصاهرة بينهما فى أولاد هما ، ثم أنه بعد ذلك لو تحقق ايمانه جدلا لكان رجلا من جند الاسلام المخلصين على فرض أن يكون مسلما ، ولكنه لم يفعل ولن وكيف يفعل والله قد أخبر بانه سيموت كافرا ، وسيصلى نارا ذات لهب ·

ولكن ابا لهب ضرب ذلك كله ، ولجأ الى حيلة أسرع — وأن كانت نحو الأسوأ — حيث اختارها لنفسه ونسى كل شئ فيها الا وهى عداوته العلنية للنبى صلى الله عليه وسلم ولله رب العالمين ، ناهضا لتلك العداوة بكل ما أمكنه ·

وراح أبو لهب يضمرها حينا ويظهرها أحايين كثيرة ولكن ما أن بعث النبى صلى الله عليه وسلم وبدأ العقلاء يتهامسون بدعوته حتى قابلهم أبو لهب بعكس ما فطنوا اليه ، وكم كانت تدور بينه وبينهم الخلافات وتشتد المجادلات ، ولم يكن لابى لهب من رغبة الا اجهاض تلك الدعوة الوليدة وتشريد الناس من حولها وتفريقهم عن صاحبها وكانت له فى ذلك حيل شتى ، واستخدم لها وسائل عديدة ، حتى أعيته الحيل ·

ورغم أن أبا لهب قد راقب عبد المطلب وهو يحتفى بالنبى محمد ويجله بل ويبذل له الاكرام بما يعدل زعماء القبائل حينئذ ، وكذلك أبوطالب الذى ودع الدنيا ولم يفرط فى ابن أخيه ، بل دافع عنه حتى فارقت روحه بدنه ، ولم تكن بينهما مصاهرة (١) .

ورغم ذلك فقد كانت وصية أبى طالب لأخيه عبد العزى أن احفظ محمدا ، وبدافع عنه بكل ماتجد اليه من سبيل ، الا أن أبا لهب اسقط ذلك كله من حساباته ، واستنام فى رحاب العوراء حتى صار خادما لها حاميا سوء أدبها بل أنه توجه الى سيف العداوة فاستله من غمده ، وذبح به الفضيلة فى محراب الدفاع عن الآلهة الباطلة من جنس اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى .

وكانت زوجه أم قبيح رأس كل قسوة ، وبئر كل رذيلة ، وموقد كل عداوة ، ومنبت كل بغضاء ، وماكان لابى لهب أن يخالفها فى رأى ، أو يستأنف حكمها ولو فى مشورة ، وأنى له أن يخالف ، أو يتحالف من غير أن توافق هى أو تخالف .

---

(١) لأن الامام عليا كرم الله وجهه — لم يتزوج بالسيدة فاطمة الزهراء الا فى الهجرة ، ومات أبو طالب ولم يكن على قد تزوج من فاطمة وبالتالى فلم تكن مدافعة أبى طالب عن ابن أخيه ، الا ليقينه بأن مايدافع به هو الحق ، وان دعوة ابن أخيه هى الحق ذاته ، وان كان قد فاته الدخول فى الاسلام .

وتمر الأيام عجلى ، ونزيف العداوة لايتوقف ، ونيران البغضاء كلما خبث زاد تهاأم جميل سعيرا ، فينقطع أبو لهب عن متابعة تجارتـــه ، ويتفرغ لمحاربة النبى وعداوته ، ويفرق بين ابنيه وزوجتيهما من بنـــات النبى صلى الله عليه وسلم ، ويقسم عليهما ، وكان سلطانه على أحـــد ولديه ضعيفا وعلى الثانى عنيفا ، وماهى الا فترة قليلة حتى تمكـــن أحدهما (١) من تمزيق حجاب حيائه ، واعلن للنبى طلاق كريمته التـــى كانت زوجا له ، ويوجه للنبى صلى الله عليه وسلم اللوم والقول السافـــر وأبو لهب يرقب الموقف وتنفرج اساريره ، ترقبا لألم جديد تلقى بـــه الأقدار على نبى الله محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يقع على محمـــد صلى الله عليه وسلم الا مايدعو الى الغبطة ويدخل السرور والبهجة .

---

(١) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا قومه الى الايمان قـال أبو لهب ان كان ما يقول ابن أخى حقا فانى افتدى نفسى من العذاب بمالى وولدى فنزلت الآية" مختصر ابن كثير ج٣ ص ٦٩٠ ويحكى أنـــه كان لأبى لهب أولاد ثلاثة هم عتبة ، ومعتب ، وعتيبة ، وقد أســـلم الأولان يوم الفتح ، وشهدا حنينا والطائف ، وأما عتيبة فلم يســـلم وكانت أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده ، واختها رقية عند أخيه عتبة ، فلما نزلت السورة قال أبو لهب لهما : راسى وراسكمـا حرام ان لم تطلقا ابنتى محمد ، فطلقاهما ، ولما أراد عتيبة بالتصغير الخروج الى الشام مع أبيه قال — عتيبة لأتين محمدا وأوذينه ، فأتـــاه فقال يامحمد انى كافر بالنجم اذا هوى ، وبالذى دنا فتدلى ، ثم تفل امام النبى صلى الله عليه وسلم وطلق ابنته أم كلثوم ، فغضب صلى اللـه عليه وسلم ودعا على عتيبة فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك ، فافترسه الأسد " روح المعانى ج ٣٠ ص ٢٦٢ .

فبعد طلاق بنتى رسول الله من ابنى أبى لهب صار أمر الدفاع عن النفس من تصرف أبى لهب وزوجه أمرا ميسورا ، أما أبو لهب فلم يهدأ ، ومايكن له أن يلين ، فكان عقابه اصطلاؤه بالعذاب المتوهج والنار اللافحة فى الدنيا من ذلك :

(١) أن السبع أكل ولده :

رغم كثرة الحرس ، وشدة المراقبة ، والانذار الذى سمعه أبولهب مباشر فى قوله صلى الله عليه وسلم " اللهم سلط عليه كلبا من كلابك" ، فاشتعلت النار فى صدر أبى لهب حتى أحرقت فيه كل أمل وبخاصة أن ولده مزقه السبع أمام ناظريه ، ونهش لحمه ، وخلط دمه بعظمه على مرأى منه ومسمع .

وكانت صرخات ابنه نارا ذات لهب لايجدى معها اطفاء الماء ، بل كانت كالزيت كلما اقتربت منه الماء ازداد اشتعالا ، وكان ابنه يقول له أبى قد اصابتنى دعوة محمد ، وأنى لهما - لابى لهب وعتيبة - أن يتفاديا دعوة نبى ما ينطق عن الهوى ، صاحب دعوة مجابة .

(٢) فقدانه المناعة ومرضه بالعدسة :

ظل أبو لهب يعانى من تلك النيران الملتهبة فلا هو بالقادر على مقاومتها ، ولا بالمتحمل الابتعاد عنها ، ولما بلغه خبر تحمس القرشيين لملاقاة النبى محمد صلى الله عليه وسلم فى بدر راح يعمل على ابراء مرضه

واطفاء سعيره وذلك من خلال مراقبة أخبار المحاربين والاستراق لرسل الفارين ٠

وكانت الموجة العاتية التى تنقل أخبار المعارك حيث أجمعت كل الأخبار على أن جيش المسلمين قد انتصر — رغم قلة عدده وحداثة تكوينه ، فاضطربت من أبى لهب قواه ، واصابته صدمة عصبية ، فقعد بعدها مناعته ، واستمر يعانى آلامها سبع ليال وثمانية أيام ، وكانت موقعة بدر ترسل أبناءها على المستويين فيفزع المشركون ويفرح المسلمون

وفجأة انفض الناس عنه ، لأنهم اكتشفوا أن مرضه ينقل عن طريق الملامسة — فقدان المناعة — أو الايدز بلغة العصر ، فهلك جزعا بل أن أتت عليه نار الحقد ، ولهيب البغضاء وكبر انفضاض الناس عنه وتمتع أبو لهب بنار ذات لهب فعلا ، ولم يكن لأحد أن يتسلى معه ٠

(٣) انصراف الناس عنه :

بدأت مأساة جديدة ، فلم يجرؤ أحد من أهله على الاقتراب منه حتى هلك ومضت عليه أيام ثلاثة ، وراحت علامات النتن تظهر من جسده وتطل براحتها الكريهة من بدنه الذميم ، وخشى أولاده العار فاضطروا الى اصطناع تجويف فى الأرض يشبه المستنقع — وكان هذا التجويف حفرة فلما أرادوا نقله الى ذلك المستنقع لم يجرؤ أحد على الاقتراب من الجسم

الذى بعث فى الدنيا العداوة ويرسل بعد الموت للناس المرض العضال فأجمعوا أمرهم على دفع جسمه بعود خشب يشبه سيخ الحديد ، وظلوا به حتى وقع فى الحفرة ٠

(٤) تركه من غير دفن فترة :

وبقيت مشكلة تغطية جسده ، فلم يجدوا بدا من قذفه بالحجـارة ، حتى تمت مواراته التراب ، وقد ذاق العذاب واكتوى بالنار حيا وميتـا ، وجلب العار لنفسه فى الدنيا وغضب الجبار وعذاب النار فى الآخرة ،وهو ما أخبر به القرآن الكريم فى قوله تعالى : " تبت يدا أبى لهب وتـــب ما أغنى عنه ماله وماكسب سيصلى نارا ذات لهب " ومن أصدق من اللـه قيلا ٠ (١)

وهكذا كانت حياته الطويلة القصيرة وبالا عليه ، وسوف يصرخ مستقبلا ياليتنى كنت ترابا ، وقد هلك بعد غزوة بدر الكبرى بسبع ليال بمرض معـد كالطاعون يسمى العدسة ، وبقى ثلاثة أيام حتى انتن ، فلما خافوا العـار حفروا له حفرة ودفعوه اليها بعود حتى وقع فيها ثم قذفوه بالحجارة حتـى واروه فكان الأمر كما أخبر به القرآن الكريم" (٢) ٠

---

(١) سورة النساء الآية ١٢٢

(٢) الامام الألوسى — روح المعانى جـ ٣٠ ص ٢٦٢

وقد لخصت أيام أبى لهب الأخيرة تصويرا دقيقا لو أن ريشة رسام هى التى رسمت تلك اللوحة ، ما كان فيها هذا اللون من الجمال والتعبير ، نقل الفخر فقال : " روى أبو رافع مولى رسول الله فقال : كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب وكان الاسلام دخل بيتنا ، فاسلم العباس، واسلمت أم الفضل - زوج العباس ، وأسلمت أنا ، وكان العباس يهاب القوم ويكتم اسلامه .

وكان أبو لهب تخلف عن بدر ، فبعث مكانه العاص بن هشام ولم يتخلف رجل منهم الا بعث مكانه رجلا آخر ، فلما جاء الخبر عن واقعة أهل بدر وجدنا : رافع والعباس وأم الفضل - فى أنفسنا قوة ، وكنت رجلا ضعيفا - فى البدن - وكنت أعمل القداح الحيها (١) فى حجرة زمزم ، فكنت جالسا هناك وعندى أم الفضل جالسة .

---

(١) القداح جمع مفرده قدح ، وهو قطعة من الخشب مستوية ، قليلة العرض طولها نحو فتر تجعل فيها حزوز تدل على نصيب صاحبها من الجزور ، وكانت تستعمل فى الميسر ، ويقال : لفلان القدح المعلى ، يعنى الحظ الأوفر ، وجمعه قداح . المعجم الوجيز ص ٤٩١ مادة قدح وألحيها بمعنى أزيل القشر الموجود عليها يقال "لحى الشجرة والعصا لحيا ، قشرها" المعجم الوجيز مادة لحى ص ٥٥٤ .

وقد سرنا ما جاءنا من الخبر ، اذ أقبل أبو لهب يجر رجليه ، فجلس على طنب(١) الحجرة وكان ظهري ظهره ، فبينا هو جالس اذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فقال له أبو لهب — مستعجلا — كيف الخبر يا ابن أخي ؟ يسأله عن أبناء المعارك .

فقال أبو سفيان بن الحارث لقينا القوم ومنحناهم أكتافنا (٢) يقتلوننا كيف أرادوا ، وأيم(٣) الله مع ذلك تأملت الناس ، لقينا رجال بيض على خيل بلق (٤) بين السماء والأرض ، ثم برك على فضربني ، وكنت رجلا ضعيفا ، فقامت أم الفضل الى عمود فضربته على رأسه وشجته وقالت

---

(١) الطنب : حبل يشد به الخباء والسرادق ونحوهما المعجم الوجيز مادة طنب ص ٣٩٥ ، والمقصود أن أبا لهب جلس في استرخاء غير مقصود وانما جلسة المنكسر المهزوم على الحبل الذي تشد به أوتار الحجرة وأطراف الخيمة .

(٢) كناية عن فقدان جيش المشركين الأحساس بالمعركة حتى كأنهم سكرى لايدرون بما يفعل بهم .

(٣) أيم الله : كلمة قسم همزتها وصل ، يقال وأيم الله لأفعلن كذا " ، المعجم الوجيز مادة أيم ص ٣١ .

(٤) البلق : هو عبارة عن سواد وبياض في اللون — المصدر السابق ص ٦٢ مادة بلق .

تستضعفه ان غاب سيده (١) ، وتفعل به ما يعجز عن دفعه ، والله نحن مؤمنون منذ أيام كثيرة ، وقد صدق فيما قال : فانصرف ذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليالي حتى رماه الله بالعدسة فقتله ، ولقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثاً ما يدفنانه حتى أنتن في بيته ، وكانت قريش تتقى العدسة وعدواها كما يتقى الناس الطاعون ، وقالوا أنخشى هذه القرحة ، ثم دفنوه وتركوه" (٢) .

وداء العدسة كان معروفا عند العرب ، وهو عبارة عن قرحة تخرج باليدن فتقتل صاحبها ولاتمهله ، وكانت العرب تهرب منه ومنها لزعمهم أنها تعدى" (٣) وقد تحقق هذا كله في أبي لهب " لسوف تظل قصة يحاول القوم النظر فيها واحالة الفكر وامعانه ، وبخاصة أنها وردت في النقل المعصوم ، ونحن قدمنا ما وفقنا اليه ونسأل الله السلامة والسداد فلننتقل الى القصة الثانية ، من قصص السورة وهي قصة أم ذميم .

---

(١) حيث كان العبيد يفقدون آدميتهم أمام الاسياد بغض النظر عن كونه سيدة أم لا ، وكان بعض الاسياد يعتبر اهانة عبده اهانة له ويقاتل في سبيل تلك الى أقصى حد ممكن .

(٢) مفاتيح الغيب جـ ٣٢ ص ٧٥٩ ، ٧٦٠ .

(٣) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين جـ ٤ ص ٣٦١ .

القصـــة الثانيـــة : أم جميل (العوراء) :

الزمان : قبيل عام الفيل بزمن غير طويل .

المكان : بيت من دور حرب بن أمية فى أحد شعاب بنى أمية .

الحدث : امرأة حرب تعانى ألم المخاض ، وتهتز من قسوته ، وتتمنى الخلاص مما فى احشائها ولو بالموت لأحدهما ، وان كان تمنى موت الحمل أسرع .

الأشخاص: حرب ، أبو سفيان وآخرون .

امرأة حرب تدور فى ردهات المنزل ترسل صرخاتها من حين لآخر ثم تزيد فى الصراخ .

حرب : ماهذه الأنات المكبوتة التى تمكنت منك ياامرأة ؟ كم حملت ووضعت وماحدث لك مثل هذا الأمر الغريب عنا .

زوجه : انها آلام المخاض التى ماعرفت مثلها أبدا ، انها نيران تكاد أن تفتك بى ، وكم تمنيت أن لايتم هذا الحمل الثقيل الذى لايفارقنى ألمه .

حرب : ألا فادعوا القابلات من كل مكان ، وانهضوا الى الآلهة فاستنهضوها ، أو اطرقوا مسامع هذا الحمل فأخيفوه .

أبو سفيان : بذلنا كل نفيس ، وطلبنا كل عزيز ، ولكن الجنين لايقبل أى أنيس ، وماتزال الحامل تئن .

زوجـه : أكاد أموت والنار تمزق كل جزء في جسمي ، انها نيـــران لم أعهدها من قبل ، وكم دعوت الآلهة فلم تجبني ولي على هذا الحال أيام .

حـرب : اجعلوها تلد هذا الجنين المنكود ، ولئن وضعت هـــذا الجنين وعاش ليكونن مقدم شؤم ، وحياة مذلة ، ونهايـــة خراب ، ان هذا الجنين ماعهدناه ولا كان لنا بمثله خبر .

زوجـه : ابذل ما بوسعك يارجل ، فاني لاأحب رؤية حملي هـــذه المرة ، بل ولن أنظر اليه لو وضعته ، ان النيران توشـــك أن تلتهمني ، ان هذا الجنين ألم فاق امكانياتي ، الا فاصنعوا شيئا .

القابـلة : تدفعها الى الداخل ، أنهضي ياامرأة فاصرخي . هـــات ماعندك ، وهاهي غرته السمراء بدت تلوح ، ولكن الرحـــم يرفض دفعها ويوشك أن يقضي عليها ، ادعوا آلهتكـــم وأجمعوا أمركم .

حتى لايأتي الوليد أنثى تحمل لوالديها العار والدمـــار .
لأن العرب في زمانهم كانوا يكرهون البنات ، بل ويئدونهن .

زوجـه : اذا أنا وضعت وليدى هذا فلن أنظر اليه ، لأنه جـاء يزيحنى من الحياة الجميلة ولن يكون ، ولن أكون .

القابلـة : ابذلى مجهودا آخر ، فها هو جسم الجنين قد أوشك على الانطلاق ، أصرخى واحتبسى آلامك ولاتحدثى أحدا بشأنك .

وفجأة تضع الحامل وليدها الأنثى وتقع التسمية موقع الدلالة وتسمى "أروى" (١) وهو نوع من التسمية التى تحمل التشاؤم معها .

راحت الفتاة تقطع سنى حياتها حاملة الألم والنكد ، فلم تـر الا باكية ، ولم تعرف الا مهمومة ، قد تعاقدت مع الشيطان أن لا أفتـراق حتى صارت بؤرة العقبات لبيت حرب ، وكم ثارت المشاحنات ، وكانـت أروى العنصر الفعال ، والكبريت الذى أوقدت به النيران .

---

(١) أروى جمع على غيـر قياس ، والأروية الوعل ذكرا كان أو انثى ، وجمعه أراوى ، وأروى " المعجم الوجيز مادة أروص ١٤ ، والوعل تيـس الجبل أى ذكر الأروى ، وهو جنس من المعز الجبلية له قرنان قويـان منحنيان كسيفين أحدبين جمعه : وعول " المعجم الوجيز ص ٦٧ ، والوعول الاشراف قاله الأساس — مختار الصحاح باب الواو والعين واللام .

شبت أروى عن الطوق ، وبدأت سلسلة المشاكل تحيط بها فهى على غير عادة العرب ، اذ بدت علامات الشح تسيطر عليها ، رغم أنها من بيت مال وكرم ، وظهرت امارات الأنفة وراحت تغلب عليها هذه السلبيات مما حدا بكل من يعرفها ايثار السلامة على الاحتراق بالنيران ، حتى باتت لاتجد من يعضلها .

وكانت تطلعات أبى لهب قد أعلنت عن نفسها ، ثم هو غير مرغوب فيه لما به من صلف وسلبية مقنعة بأنفة مصطنعة ، فلم يعرف عنه أنه كان بطلا قويا ، أو شجاعا ، أو منازلا ، بل ولا حتى راعيا ، انه كان تكملة عدد من الأبناء ، ويريد القفز فوق الأكتاف بغض النظر عن نوع السلم ودرجه .

من ثم تلاقت الرغبات واختار أبو لهب العوراء لتكون زوجا له ، وقد فرحت الأسرتان بالتخلص من هذين العنصرين اللذين يحاول كل منهما السيطرة على الآخر ، والاستفادة من امكانيات الآخر حتى النهاية لذا تم الزفاف على عجل ، ولم تقف العوائق بينهما ، حتى يفكرا فى الانفصال أو الاستمرار ، وانما كان الأبناء فى اعقابهما ينطلقون ، وكم كان لهم من الأبناء .

غير أن صلافة سلوكها ، وزلاقة لسانها ، لم تمهلا أبا لهب حتى اقترن بغيرها من النسوة ، كي له بلسم الجروح ، ولكنه كان لايقبل الا عليها ، ولايطمع الا فيها ، ولاتستريح نفسه الا في رحابها انه وهي كالحديد والنار لاتعرف جودة أحدهما الا بعون الآخر عليه ، فرغم أنها كانت سليطة اللسان ، قبيحة المنظر العام ، صاحبة صوت أجش كانت تزيده خشونة متعمدة محاكية الرجال في أصواتهم ، الا أنها كانت أكسير الحياة بالنسبة له ، وكانت الآمرة الناهية على أعقاب فؤاده ، وأعتابه وما كان يملك مخالفة أمر لها لو أعلنت عنه .

ومع هذا فقد كانت علاقة القرابة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين أبي لهب قوية ، اذ لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بعث ووقع ولداه في التعلق ببنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطمع أبو لهب في مال خديجة ، وطمعت أروى في هذا النسب الرفيع ، والمال الكثير ، وأي نسب يعدل نسب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وهو التاجر الأمين ، وهو الصادق الصدوق العف النزيه ، فكان بيته صلى الله عليه وسلم من أعالي بيوت قريش ومكة على وجه العموم نسبا وأدبا ، وأزكاها تنشئة وعلما واحتراما ، ومن ثم كان اقبال القوم عليه ومن به .

خطب أبو لهب لابنيه عتبة وعتيبة بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم السيدة أم كلثوم ، والسيدة رقية ، حيث خطبت أم كلثوم لعتيبة ، وخطبت رقية لعتبة ، والمشهور أن أبا لهب كان له أبناء ثلاثة هم : معتب وعتبة وعتيبة ، وقد أسلم الأولان — معتب وعتبة — يوم الفتح ، وشهدا حنينا والطائف ، وأما عتيبة فلم يسلم(١) .

لم تهدأ ثورة أم جميل ، ولم تخبت فيها رغائب العنف والكراهية ، انها احدى الباحثات عن المتاعب انها لاتنفك باحثة عن كل ماهو عداوة مستحكمة أو مهيد اليها ، فلما بعث الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ، وأمره بانذار قومه كانت العوراء أول من سارع الى المخالفة واشعال نار المخاصمة ، بل انها قادت ولديها الى افساد ماكان من قواعد لعلاقات كان أولى بها أن تعضد ، وقيم أولى لها أن تقوم .

انها عاشت ذكريات أشباح محطمة ، وقيم مهدمة ، وأطياف أخرى في الأفق البعيد لاتلوح ، ولقد كانت أم قبيح هي هذه الأمور كلها ، ولعلك تلاحظ هذا الأمر في عدة نواح :

---

(١) الامام الألوسي : روح المعاني والسبع المثاني ج ٣٠ ص ٢٦٢

١ - كانت لها قلادة فاخرة من جوهر فقالت : واللات والعزى لأنفقنها في عداوة محمد فأعقبها الله عنها حبلا في جيدها من مسد النار" (١) .

٢ - لما بلغها سورة تبت جاءت الى أخيها أبي سفيان في بيته وهي متحرقة غضبى ، فقالت له ويحك أما تغضب ان هجاني محمد ؟ فقال سأكفيك اياه ، ثم أخذ بسيفه وخرج ثم عاد سريعا ، فقالت له هل قتلته ؟ فقال لها : ياأختي أيسرك ان رأس أخيك في فم ثعبان ؟ قالت لا والله .

قال فقد كاد ذلك يكون الساعة ، أي فإنه رأى ثعبانا لو قرب منه صلى الله عليه وسلم لالتقم رأسه ، ثم كان من أمر أبي سفيان الاسلام ومن أمر أخته الموت على الكفر" (٢)

٣ - انها كانت مع كثرة مالها خسيسة ، وكانت لشدة عداوتها تحمل بنفسها الشوك والحطب ، لأجل أن تلقيه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) وهكذا فان ملامح تلك اللعينة لا يمكن أن

---

(١) الامام القرطبي - الجامع لأحكام القرآن جـ ٢٠ ص ٢٤٢
(٢) الامام البروسوي - تنوير الأذهان مجلد ٤ ص ٦١٠
(٣) الامام الفخر الرازي - مفاتيح الغيب جـ ٣٢ ص ٧٦١

تغفل عنها عين ناظرة ، أو عين قلب باصرة .

٤ - " أنها كانت تعير النبى صلى الله عليه وسلم بالفقر ، وهى تحتطب فى حبل تجعله فى جيدها من ليف فخنقها الله عز وجل به فأهلكها "(١) خنقا بحبلها "

٥ - أنها ستلقى فى الآخرة عذابا من نوع آخر " هو سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل من فيها ، وتخرج من دبرها ، ويكون سائرها فى عنقها وقد فتلت من حديد فتلا محكما "(٢).

٦ - أنها وصفت بأوصاف عديدة ، ولقبت ألقابا كثيرة ، وكذلك تكست بأكثر من كنية ، وانتهى الأمر الاجمالى معها على أنها " النمامة الواشية التى تؤجج النار بين الناس بنميمتها كأنها تحمل الحطب لتحرق ما بينهم من الصلات ، وصارت هذه المرأة الماكرة اللعوب صورة سيئة لكل " امرأة تنم بين الناس لتفرق كلمتهم ، وتذهب بهم مذاهب السوء ، فهى ممثلة فى هذا المثال ، نازل بها ذلك النكال ، نسأل الله العافية ، ونحمده على هدايته الوافية .

---

(١) الامام الجمل - الفتوحات الالهية جـ ٤ صـ ٦٠٢

(٢) حاشية العلامة الصاوى جـ ٤ صـ ٣٦٣

(٣) الامام الشيخ / محمد عبده - تفسير جزء عم صـ ١٧٣ بتصرف طبعة محمد على صبيح ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧م .

واحسب أنى لو أرخيت للقلم العنان ، وأسبلت على النظـــــر العيان ، لفاض وحده البيان ، مناجيا آى القرآن ، فسبحان مـــن لا تنفـــد كلماته ، ولا تغيـــض بحار علمه ، ولا يزيد أو ينقص شـــــى من ملكوته ، وهو الواحد القهار .

القصة الثالثة : قصة عتيبة بن أبى لهب :

شخصية تنازعتها مشارب شتى ، وانطفأت فى أعماقها أنوار الحق فلم تعد ترى الا الشر والاندفاع اليه والخطأ والاقبال عليه ، والباطل والتنادى حوله ، من ثم فلم نر عجبا حين هتفت جوانح الشاعر مغردا :

كرهت عتيبة اذ أجرما وأحببت عتبة اذ أسلما
كذا معتب مسلم فاحترز وخف أن كسب مسلما (١)

الزمان : فترة متقاربة قبل البعثة النبوية

المكان : احدى بيوت أبى لهب .

الأشخاص: أبو لهب ، أم قبيح ، القابلة ، جمع ممن لهم علاقة بالمسألة

الأحداث: ام قبيح تنتابها من آن لآخر رعشة متوالية وهزة عنيفة كأنها الحمى ماتلبث أن تتوارد عليها ، ثم لاتبقى وفجأة شق سكون الكون صوت غريب يفزع من حوله ، وكان هذا الصوت النشاز لوليد مايزال مغمض العينين ، فلما سأل الناس من صاحب هذا الصوت ؟ أجاب أبو لهب انه صوت ابنى عتيبة ، ومن هنا شرع الناس فى ادراك هذا الشخص الذى كان ينمو بطيئا ويعانى أبوه معه قسوة قلبه وغلظة لسانه .

ولم يكن هذا الوليد محل قبول بين قرنائه وانما كان مرفوضا منهم ومن ثم رأيناه يعوض هذا الرفض الخارجى بانهزام فى داخله ، وكان

(١) العلامة الصاوى / حاشية العلامة الصاوى على الجلالين ج٤ص٣٦٢

أبوه يقرأ فى وجه الفتى تلك الملامح الغبرة ويرى فى وجهه تلـــك العبوسات المضطردة فيفرح ويتمنى لو أن الآلهة أبقت هذا الولـــد حتى يشيع القسوة وسوء المنقلب بين الناس ، وكان الولد يتمتـــع بمخايل هذا العنف ويسعد بهذا الاطراء الغريب .

شب الوليد عتيبة متأخرا ونمت معه ميوله غير السوية التى كـــان يخفيها بحياء كاذب أو يسترها بانكسار مصطنع ومع هذا كان لايتخلف عن أماكن اللهو الا قليلا ، وكانت سماته الشخصية غير بارزة ولايتمكن من كشفها الا المتعاملون معه عن قرب ، وكانت نفس أبيه تفرح بهذه الازدواجية فى ابنه .

عدت الأيام بالفتى فاذا هو يبلغ مبالغ الرجال ، ويراه أبوه وقد تاقت نفسه لتكوين بيت مستقل فيه زوجة ويأتى منها الولد ، وقوى هذا الشعور عنده حتى صار رغبة لاتقاوم ، وأملا لايتوقف وبخاصة بعــد أن تقدم أخوه عتبة طالبا الزواج من احدى بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم — فشاركه عتيبة الرغبة وقاسمه مصاهرة رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ، فعلى حين خطب عتبة السيدة رقية ، فاذا بعتيبة يطالـــب

بخطبة أختها أم كلثوم ، ويتحقق أمل الخطبة فتسعد أم قبيح بتلك المصاهرة الرفيعة التى لم تدم الا قليلا من الوقت مالبثت عراهـا أن انفصمت وطريقها تحفـرت جنباته وضاقت طرقاته .

بيد أن عتيبة لم يسلم أمره لقائد يوجهه وانما كان يتولى توجيه نفسه بمؤثر من قواه الداخلية التى هى جمر متقد ونار مشتعلة ، كلما خبت زدناهم سعيرا " ، ولم تتوقف هذه النيران ولم ينطفى لهيبها .

فلما بعث الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - قام أبو لهب بين ولديه - عتبة وعتيبة - محرضا اياهما على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فما كان من عتبة الا الانصراف عن أبيه والتخلى عن مشاعر العداء التى راح أبوه يبثها فيه ، أما عتيبة فقد صار آلة لايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم - متفننا فى أنواع ذلك الايذاء الذى برز فى :

(أ) تطليق بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم - قاصدا ايذاءه فى بنته .

(ب) محاولته ايذاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بلسانه حين هم بالخروج الى الشام " فقال لآتين محمدا فلأوذينه ، فأتاه فقال يامحمد هو كافر بالنجم اذا هوى وبالذى دنا فتدلى"(١) .

---

(١) الشيخ اسماعيل البروسوى تنوير الأذهان جـ٤ص٦٠٩ والامام أبو السعود جـ٥ ص ٢٩١ .

(ج) تفله فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتهديده له بتكرار هذه الايذاءات والاستمرار عليها وبيد وأن الشقى يبقى شقاؤه معه ، وقديما قال العربى : حافى القدم وعارى الجسد :

ان حظى كدقيق	∴	بين شوك بـــذروه
ثم قالوا لحفاة	∴	يوم ريح اجمعـــــوه
ان من أشقاه ربى	∴	كيف أنتم تسعــدوه

فاذا برسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على عتيبة قائلا :

" اللهم سلط عليه كلبا من كلابك " وماهى إلا أيام حتى أفترسه الأسد (١) وتحقق فيه دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليـه .

ولنده صاحب تنوير الأذهان يقص علينا هذا الأمر فيقول : " خرج أبو لهب ومعه عتيبة الى الشام فنزلوا منزلا فأشرف (٢) عليه راهب من الدير فقال ان هذه أرض مسبعة (٣) ، فقال أبو لهب — بعد أن عرف وجـــود السباع فى ذات المنزل الذى أقاموا حوله — أعينونى يامعشر قريش هـذه الليلة فانى أخاف على ابنى دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فجمعــوا

---

(١) الشيخ محمد على الصابونى / صفوة التفاسير جـ٣٠ ص ٦١٩ .
(٢) أشرف عليه بمعنى نظر اليه وأخبره بالأمر الذى يجهله .
(٣) أرض موطن سباع يعيشون فيها ويتناسلون ويقيمون .

جمالهم وأناخوها حولهم وأحدقوا (١) بعتيبة فجاء الأسد يتخللهم ويتشمم وجوههم حتى ضرب عتيبة فقتله " (٢) ونظر أبو لهب أبنه فاذا السبع يضربه فى كل ناحية من جسمه والولد فاقد الوعى لاينطق .

احتفى الأسد بعتيبة فراح يجرجره على وجه الأرض ، ثم يقفز فوقه كأنه يلاعبه ، وأبولهب يراه ولايتمكن من دفعه عن ولده فيصرخ من داخله ولايكاد يبين وتحقق فيه قول الله تعالى " سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ " .

أجل : ان نيران قتل السبع لولده لم تنطفئ ، ونيران فتك الأسد بولده أمامه لم تتوقف وأنات حائرات كانت تدور بجوانحه فتقض مضجعه وتهزمه من داخله ، ويعجز الرجل القوى — من وجهة نظره — عن دفع هذا الأذى المحدق بولده ، ولاقويت العصبة التى استأجرها على حمايته ومانفع فيه استجاشة مشاعر ولاتحريك شجاعة مأجور ولادافع عنه صراخ انطلق به من كل مكان .

اذًا انتهت قصة عتيبة الى النار التى سوف يصلاها فى الآخرة عذابا له كماصليها أبوه — أبو لهب — وأمه العوراء فى الدنيا وسوف

---

(١) أحدقوا به : أحاطوه من كل جانب .
(٢) تنوير الأذهان جـ ٤ ص ٦٠٩ ، ٦١٠

يتذوق الجميع تلك النيران التى أعدها الله فى الآخرة للعصــــاة ، والمذنبين .

ومما يجدر الالتفات اليه أن قصص السورة لم تنته عند هؤلاء الثلاثة اذ هناك قصص أخرى مطوية فى حنايا الكلمات القرآنية التى تحمـــل الايجاز والاعجاز .

وان رمت شاهدًا على ما ندعيه فاليك شواهد لقصص رمز اليهــا فى السورة الكريمة ذاتها منها على سبيل المثال :

(أ) مال أبى لهـــب .

(ب) كسب أبى لهـــب.

(جـ) الدافع المغنى عن صاحبه قسوة النار . .

(د) نوع النار التى سيذوقها ومن أى دركات جهنم هى .

الى غير ذلك من القصص التى رمز اليها النص المنزل ومازال الأفئدة تتطلع الى مراجعتها والبحث عنها والتناجى بها والتناغى حولهــا ، وما أصدق قول القائل ان كتاب الله لاتنقضى أسراره ، ولاتنتهى عجائبــه ، يكفى أنه كلام رب العالمين ، فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ .

((سادسا : أوجه الاعراب فى السورة الكريمة))

((سادسا : أوجه الاعراب في السورة الكريمة))

الاعراب هو الابانة والوضوح ، ومنه قولهم " أعرب الكلام : بيّنه وطبّق عليه قواعد النحو ، وأفصح به ولم يوارب ، وأعرب عن حاجته أبان عنها " (١) ومن ثمّ فإن الاعراب يكشف وجها من وجوه اللفظ ، ويدع المعنى يعبر عن مضامينه بسهولة ويسر ، ولابد من فهم المعنى حتى يتضح المراد .

على أن الاعراب في حد ذاته له وجوه عديدة ، ومناح شتى ، فمرة يكون المراد بالاعراب الافصاح عن المعنى الكامن ، وأخرى يكون المراد ابراز المعنى البيّن وافادة المطلوب منه ، وربما يكون المراد بالاعراب هو الابانة بكثير من الدواعي والدوافع والاحتمالات ، ومثل هذا في لغة الاعراب كثير .

وسورة المسد قد حفلت بصور عديدة من صور الاعراب مما يحدو بالباحث الى بحث مسألة الاعراب هذه ، وبالوجوه التي ييسر الله أمرها ، ويعين على ابانتها وكشفها ، فما هي أوجه الاعراب في السورة ؟

---

(١) المعجم الوجيز مادة عرب ص ٤١١ .

بسم الله الرحمن الرحيم : جملة ابتدائية يصح اعتبارها ابتداء حقيقيا على معنى أنها لم تسبق بشيء ، ويصح اعتبارها من الابتداء الاضافي على معنى سبق باقي أجزاء السور القرآنية اليها ، وهي البسملة" يصح أن تكون انشائية ، وأن تكون خبرية ، فعلى الاولى — كونها انشائية — لاتسمى تلك الجملة قضية لأنه لايسمى بها الانشاء بل الخبر فقط ، وأما على الثاني — الخبرية — فتسمى بها ثم ان قدر المتعلق نحو ابتدئ ، كانت شخصية" (١) .

تبت : فعل ماضي مبني على السكون لاتصاله بتاء التأنيث لامحل له من الاعراب ، قصد به الاخبار بالهلاك لأبي لهب .

التاء : حرف يفيد التأنيث ، لأن اليد لفظ يجوز فيه التأنيث والتذكير ، وان كان التأنيث هو الغالب .

يدا : فاعل مرفوع بالألف لأنه مثنى ، وهما الفاعل في المعنى لأنهما وان كان يقع عليهما الهلاك والخسران حقيقة ، الا أنهما لما كانا السبب له صارا كأنهما

---

(١) الشيخ الاسلام / ابراهيم الباجوري — حاشية الباجوري على متن السلم ص ٤ طبعة مصطفى الحلبي ١٣٤٧هـ .

الفاعلان على الحقيقة ، ولأن الفاعل عند النحاة هو
من فعل الفعل ، أو قام به الفعل ، أو اتصف به ،
حقيقة أو مجازا .

أبى : من الألفاظ التي يطلق عليها أنها كنية ، والكنية
عند النحاة هي ما صدرت بأب أو أم ، أو الحقت بأخ
أو أخت قليلا واعرابها يكون على صدرها ، والعجز
يضاف اليها .
ثم أنها كالأسماء الستة التي تعرب بالحروف لا
بالحركات ، وترفع بالواو بدلا عن الضمة ، وتنصب بالألف
بدلا عن الفتحة ، وتجر بالياء نيابة عن الكسرة ، قال
ابن مالك رحمه الله :

وارفع بواو وانصبن بالألف ؛ واجرر بياء ما من الاسما أصف
من ذاك ذو ان صحبة أبانا ؛ والفم حيث الميم منه بانا .
اب اخ حم كذاك وهن ؛ والنقص في هذا الأخير أحسن [1]

(1) ألفية ابن مالك باب المعرب والمبني — مجموع مهمات المتون ص ٣١٩

أبـى : مضاف اليه مجرور بالاضافة وعلامة الجر الياء لأنه من الأسماء الستة . أما على قراءة أبو لهب فيكون مضافا مجرور بالكسرة المقدرة ، ويكون أبو من أسماء الأعلام وليس من الكنى والألقاب .

لهب : أبى مضاف ولهب مضاف اليه من اضافة الصفة للموصوف واضافة الموصوف الى صفته . ولهب مجرور بالاضافة وعلامة الجر الكسر الداخل فى التنوين ، كما تعرب صفة عند الافراد ، وقصد بالاضافة التميز .

وتب : الواو عاطفة بين جملتين كلتيهما فعلية ، وفعل كل منهما ماض الا أن الجهة بينهما مختلفة ، اذ الفعل الأول تبت يفيد الدعاء على أبى لهب بالخسارة فى الدنيا والهلاك فى الآخرة .

أما فعل وتب فانه يفيد الاخبار بوقوع ذلك الهلاك فى المستقبل وتحقق تلك الخسارة على أبى لهب اللعين حتما واستمرار ذلك الخبر حتى يمثل أمام العقول ، ويتجسم فى الأفهام والأذهان ، ترهيبا مما قام به ، وتأنفا من فعله الذى صنع .

وفاعلها مقدر فيه التنازع ويجوز أن تكون الواو للاستئناف للفاصل بين الجملتين فى المعنى باعتبار أن كل جملة لها دلالة فى اللفظ وأخرى فى المعنى ، وأنه لا يسلم المعنى مالم يصح اللفظ .

ما أغنى : ما نافية وهى حرف يفيد النفى ، وعدم تحقق الفعل فى الماضى أو الحال ، وتجعل النفى يطرد مع المنفى ببقائها مع الفعل ذاته ، وهى لاتفعل مع الفعل سوى النفى فى المعنى وإن لم تفعل فى الاعراب ، اذا كان الفعل ماضيا .

أغنى فعل ماض مبنى على الفتح المقدر منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة حرف العلة ، هذا اذا قدرنا أن ما بمعنى النفى ، قال الشيخ الجمل : يجوز فى ما النفى والاستفهام ، وعلى الثانى تكون منصوبة المحل بما بعدها والتقدير أى شىء أغنى المال وقدم لكونه له صدر الكلام[1] قال الزمخشرى ، والاستفهام فيه معنى الانكار ومحله النصب ،[2] .

وقال العلامة الصاوى : ما أغنى عنه ماله ، يصح أن تكون

---

(١) حاشية الجمل جـ ٤ صـ ٦٠١ (٢) الكشاف جـ ٤ صـ ٨١٤

ما نافية أو استفهامية ، وعلى التقدير الثاني -استفهامية -
فهو فى محل نصب بأغنى ، والتقدير أى شىء أغنى ، وقدم
لكونه له صدر الكلام.

ويصح أن تكون ما مصدرية ، ويصح أن تكون اسم موصول بمعنى
الذى والعائد محذوف أى والذى كسبه (١) .

أما اذا قدرت بمعنى النفى والجزم والقلب مساوية للم فان
الفعل يكون مجزوما فى المعنى ، ويكون الفعل مضارعا جاء
على صورة الماضى كقوله " أتى أمر الله فلا تستعجلوه" .

عنه : جار ومجرور لأن عن حرف جر مكون من حرفين هما العين
والنون ، وحروف الجر لا محل لها من الاعراب وان كانت
مبنية لأن الحروف كالضمائر فى الشبه الوضعى والمعنوى.
الهاء ضمير مبنى على الضم فى محل جر بعن متعلق بأبى
لهب ويجوز أن يكون التعلق فى عنه بالحال الخاص بأبى لهب .

---

(١) حاشية الصاوى ج ٤ ص ٣٦٢ .

ماله : فاعل أغنى مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره ، ثم أضيف اليه الضمير وهو الهاء فصار مال مضاف والهاء ضمير مبنى على الضم فى محل جر بالاضافة وما والواو كسابقيهما .

كسب : فعل ماضى مبنى على الفتح لا محل له من الاعراب والجملة الفعلية منفية فى المعنى .

سيصلى : السين للمضارعة وهى حرف يفيد الاستقبال والاستفتاح وتفيد الاخبار بالهلاك هنا يَصْلَى فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة على آخره .

نارا : مفعول به منصوب بالفتحة وجاءت نكرة منونة للتخصيص والتهويل وبيان شدة الايلام الصادرة عنها ، وأنها نار عظيمة فى ايلامها بسيطة لو تفاداها كل عاقل سليم كما يقال أن التنوين فى النكرة المفردة عوض عن حرف ال فى الاسم المفرد .

ذات : صفة لنار .

لهب : مضاف اليه مجرور بالاضافة وعلامة الجر الكسرة .

وامرأته : الواو تفيد الاستئناف والابتداء المنفصل كما تفيد الحال في المعنى والعطف في الجملة امرأة فاعل سيصلى وكأن المعنى سيصلى أبو لهب نارا ذات لهب وستصلى امرأته حمالة الحطب نارا ذات لهب أيضا ويكون فيه التنازع .

ويمكن اعرابها مبتدأ والذى سوغ الابتداء به مع كونها نكرة ، هو اضافتها الى الضمير مع الافادة ، قال ابن مالك:

ولايجوز الابتداء بالنكرة ∴ مالم تفد كعند زيد نمرة

وامرأة مضاف والهاء ضمير مبنى على الضم فى محل جر مضاف اليه ، قال الفخر : " امرأته ان رفعته ففيه وجهان أحدهما : العطف على الضمير فى سيصلى ، أى سيصلى هو وامرأته ، وفى جيدها فى موضع الحال .
الثانى : الرفع على الابتداء وفى جيدها الخبر(١) .

حمالة : حال منصوبة وهى صيغة مبالغة من اسم الفاعل المؤنث ويجوز أن تكون منصوبة بالاختصاص بفعل محذوف دل عليه

---

(١) الفخر الرازى — مفاتيح الغيب جـ ٣٢ ص ٧٦٢

المعنى على تقدير وأخص حمالة الحطب ويجوز اعرابها بدلا
من امرأته خاصة وأنها صارت عليها كالصفة مع الموصوف .
قال العلامة الصاوى : " حمالة بالرفع أى على أنه نعت
لامرأته" (١) .

الحطب : مضاف اليه مجرور بالاضافة ، وعلامة الجر الكسرة لأنه اسم
مفرد معرفة .

فى : حرف جر .

جيدها : مجرور بالفاء وعلامة الجر الكسرة لأنه اسم مفرد .

الهاء : ضمير مؤنث مبنى على السكون فى محل جر بالاضافة ، جيد
مضاف والهاء مضاف اليه .

الألف : للاطلاق لا محل لها من الاعراب وشبه الجملة خبر مقدم
لحبل .

حبل : مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة الظاهرة .

من : حرف جر بيانية .

---

(١) حاشية الصاوى جـ ٤ صـ ٢٦٣

مسد : اسم للحبل المفتول القوى ، وهو مجرور بمن وعلامة الجر الكسرة ، والجار والمجرور متعلق بوصف ثابت للمبتدأ " حبل " فى محل رفع صفة له فاصلة بين المبتدأ وخبره . قال الجمل : " من مسد صفة لحبل " (١) .
وقال العلامة الصاوى " حبل مبتدأ مؤخر ، فى جيدها خبر مقدم ، وتعرب جملة فى جيدها حبل خبر مبتدأ مقدر ، أى وتقديره المرأة المذكورة فى جيدها حبل من مسد " (٢) .

وبهذا ننتهى من اعراب مايسر الله لنا فى السورة الكريمة ، والعلم نور يهبه الله حسب ماجاء به الحديث الشريف " وانما أنا قاسم والله عز وجل يعطى " .

---

(١) الفتوحات الالهية جـ ٤ صـ ٦٠٢
(٢) العلامة الصاوى جـ ٤ صـ ٣٦٣

((الخاتمــــــــــــــــة))

((الخاتمـــة))

أجل : طوفت مع السورة الكريمة من خلال تلك الدراسة العجلى وكم تمنيت لو اتسع الوقت وقلت الشواغل وانقدحت رغبة البحث حتى يستوفى البحث في السورة أركانه ويستوى عوده ولكن .....

بيد أن ما لا يدرك كله لا يترك كله ، ومن ثم فقد عشت التفسير التحليلي للسورة واضعا فى اعتبارى أن هذا الأمر لا يخلو من أحد وجهين كليهما خير .

أما الأمر الأول : فهو محاولة الكشف عن مناحى الجمال في السورة الكريمة سواء كان الجمال من ناحية اللفظ والمعنى أو من ناحية التراكيب والجمل ، أو من ناحية بلاغة اللفظ وعزوبته بجانب حسن الصنعة مع الجزالة مضبوطا بالفصاحة والايجاز مع الاعجاز .

الأمر الثانى : أهداف السورة ومقاصدها النبيلة بحيث تقاس على أمثالها الأشياء والنظائر وحيث يوجد بين الناس أكثر من أبى لهب وأكثر من أم جميل ، وأكثر من عتيبة وغير ذلك مما اهتمت به السورة الكريمة على سبيل بيان مواقفهم من شرع الله رب العالمين ، وهذا الوجه لا يخلو من جمال كشفت عنه الدراسة على ما مر ذكره .

على أن ما يجب الالتفات اليه هو أن الدارس لم يستوف أركان البحث كاملة فى الدراسة ، وذلك لضيق الوقت ، وقد يقال : ماهى الجوانب التى لم تستكمل بعد ؟

والجواب : أنها عديدة منها :

(١) علاقة السورة الكريمة بما قبلها من سورة النصر ، حيث قد سلف القول بأن هناك وحدة موضوعية بين سور القرآن الكريم حتى أن الامام حمزة أحد علماء القراءات المشهورين اذا ابتدأ القراءة من أول سورة الفاتحة لايبسمل بين السور معتبرا القرآن الكريم كله مربوطا بوحدة عضوية تجمع بين السور القرآنية .

(٢) علاقة السورة بما بعدها : واعنى بها سورة الاخلاص التى ورد أنها " تعدل ثلث القرآن الكريم " وطبقا لما سلف فان العلاقة بين السورتين قائمة وتحتاج بعض الوقت لابانتها والكشف عنها .

(٣) مقاصد السورة الكريمة .

(٤) أهداف السورة الكريمة .

(٥) القصص المطوية فى السورة الكريمة •

(٦) الرمزية القائمة فى السورة الكريمة •

الى غير ذلك من الوجوه التى لم يجد الدارس وقتا لتناولها والكشف عنها فضلا عن الاستقصاء فيها ودقة التحرى حولها ، ولعل هذا الأمر وغيره يمكن أن ينتدب باحث نفسه لاستكمال هذه الأوجه •

وحتى لاأقطع الطريق على آخرين ، أو أزعم أنى بلغت فى المسألة شأوا ، أو نلت من السورة منالا ، فها أنا ذا أعلى صوتى بأن مجهودى مقل وامكانياتى متواضعة والسورة الكريمة لابد لها من فارس مغوار يجلى غوامضها ويشرح مبهماتها ويزيل مايمكن أن يكون قد وقع من فهم غير صحيح حولها •

على أن هذه العجالة قد أدت مانيط بها ويبقى بعد ذا توفيق الله عز وجل ، فان تكن السورة الكريمة قد تمكنت من خدمتها على الوجه الذى أراه مقبولا ويراه غيرى قد وقع لديه موقع القبول ، فهذا ماقصدت ، وان أكن قد تعثرت بى الخطا أو لفح الفهم وزاز التأويل المسرف فأعتذر الى الله ورسوله والمؤمنين بأنى ما قصدت الا خيرا والله الهادى الى سواء السبيل •

((المصادر))

علك عزيزى القارئ ، قد لاحظت المصادر أسفل الصفحات ، وها أنذا أسوقها اليك مجملة ، فى عبارة قصيرة تاركا أغلبها تخفيفا على صفحة المصادر :

١ - القرآن الكريم .

٢ - صحيح الامام البخارى .

٣ - صحيح الامام مسلم .

٤ - سنن الامام الترمذى .

٥ - الاتقان فى علوم القرآن للامام السيوطى .

٦ - الوافى فى شرح الشاطبية فى القراءات السبع .

٧ - الامام الشيخ / محمد الحسينى الظواهرى - مقدمة لكتاب القرآن ينبوع العلوم والعرفان .

٨ - الاستاذ الشيخ / محمد عبد العظيم الزرقانى - مناهل العرفان فى علوم القرآن .

٩ - الاستاذ الامام / محمد عبده - تفسير جزء عم .

١٠ - الاستاذ الامام / محمد عبده - رسالة التوحيد .

١١ - العلامة أحمد الصاوى - حاشية الصاوى على شرح الجلالين .

١٢ - الامام الزمخشرى - الكشاف .

١٣ - الشيخ / محمد على الصابونى - صفوة التفاسير .

١٤ - الامام / أبو حيان - البحر المحيط .

١٥- العلامة أبو الحسن النيسابورى - الناسخ والمنسوخ .

١٦- الامام الجمل - الفتوحات الالهيـــــة .

١٧- الاستاذ / سعد شاكر على - قبس من نور الله عز وجل .

١٨- الاستاذ / محمد فريد وجدى - المصحف المفسر .

١٩- الاستاذ / محمد فريد وجدى - تقديم كتاب القــــرآن ينبوع العلوم والعرفان .

٢٠- الامام الفخر الرازى - مفاتيح الغيب .

٢١- الشيخ اسماعيل البروسوى - تنوير الأذهان .

٢٢- الامام الخازن - لباب التأويل فى معانى التنزيل .

٢٣- الاستاذ / سيد قطب - فى ظلال القرآن .

٢٤- مختصر ابن كثيـــــر .

٢٥- الامام / القرطبى - الجامع لأحكام القرآن .

٢٦- الامام / الراغب الأصفهانى - مفردات غريب القرآن .

٢٧- تفسير الامام أبى السعود .

٢٨- الامام الألوسى - روح المعانى .

٢٩- الشيخ / أحمد بن المنير - الانتصاف بهامش الكشاف .

٣٠- الاستاذ / حسن منصور - الدين الاسلامى .

٣١- الامام الشاطبى - متن الشاطبية .

٣٢- ابن الوزير الصنعانى - ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان .

٣٣- الشيخ / عبد الحى الحسينى - معارف العوارف فى أنواع العلوم والمعارف .

٣٤- الامام البوصيرى - ديوان البوصيرى - الهمزية .

٣٥- المعجم الوجيز .

٣٦- مختار الصحاح .

٣٧- القاموس المحيط .

٣٨- الشيخ / عبد الخالق بن حجاج الشبراوينى - منور الأذهان فى علم البيان .

٣٩- الموسوعة الذهبية للعلوم الاسلامية .

٤٠- شيخ البلاغيين - عبد القاهر الجرجانى - دلائل الاعجاز .

٤١- الشيخ الشريف الجرجانى - التعريفات .

٤٢- الشيخ / محمد عبد الرحمن القزوينى - تلخيص المفتاح .

٤٣- العلامة - عبد الرحمن الأخضرى - الجوهر المكنون فى الثلاثة فنون .

٤٤- مجموع مهمات المتون .

((الفهرس الاجمالى))

كتب صدرت

للأستاذ الدكتور/محمد حسيني موسي محمد الغزالي

أولا.في علم العقيدة

١) الإيمان بالغيب وأثره علي الفكر الإسلامي – أطروحة علمية – ط٧ – الأصدقاء ١٩٩٩م.
٢) حبو الوليد في علم التوحيد – شرح الموقف الخامس للإيجي – ط٤ – صبحي ١٩٩٨م.
٣) عبد الكريم الخطيب وآراؤه الكلامية – أطروحة ١٩٩٢م علمية ط٥ آل بسيوني بالزقازيق.
٤) منهج السلف الصالح في إثبات وجود الله تعالي ط٦ آل بسيوني ١٩٩٨م .
٥) الغزاليات في الإلهيات ط٤ الشروق بالزقازيق ١٩٩٨م.
٦) الغزاليات في النبوات – ط١ –آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠٠م.
٧) الغزاليات في السمعيات ط٣ – آل بسيوني ١٩٩٨م.
٨) الغزاليات في المعاد وأمور الآخرة ط٢ مطبعة محمد نصر الله ١٩٩٧م
٩) المدخل التام لعلم الكلام – أولي آل عزبحي ١٩٩٨م.
١٠) حصاد الاقتصاد في الاعتقاد –ج١–اثبات الذات الإلهية ط١ آل عزبحي ١٩٩٨م
١١) حصاد الاقتصاد في الاعتقاد –ج٣ – الأفعال الإلهية ط١ آل عزبحي ١٩٩٩م.
١٢) حصاد الاقتصاد في الاعتقاد–ج٤:إثبات نبوة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم ط١ صبحي ١٩٩٩م.
١٣) مطاعن أعداء الإسلام عقي القرآن الكريم والرد عليها –ط١ آل بسيوني ١٩٩٩م.
١٤) التأملات علي ما في شرح المقاصد من سمعيات ج١ ط٣ نور الهدي ١٩٩٤م.
١٥) القضاء والقدر و أثرهما علي المسلم –ط٣– آل بسيوني ١٩٩٨م.
١٦) الإلهيات عند ابن سينا ط٢– آل بسيوني ١٩٩٨م.
١٧) ذكر الله تعالي في القرآن والسنة ط٥ – مطبعة الشرق ١٩٩٢م.
١٨) القسمة و النصيب وعلاقتهما بالقضاء والقدر ط٢ مطبعة الشرق ١٩٩٢م.
١٩) إثبات العقيدة الإسلامية بالدلائل العقلية ط٢ ١٩٨٧م.
٢٠) العقيدة الألهية في الأيات القرآنية او منهج القرآن في اثبات العقيدة الإسلامية ط٣ ١٩٩٢م.
٢١) المعجزة بين المثبتين و النافين – ط أولي ٢٠٠٠م

ثانيا: في الفلسفة والمنطق والتصوف والأخلاق

٢٢) رياض الأشواق في الميتافيزيقا والأخلاق –ط٤ الشروق بالزقازيق ١٩٩٨.
٢٣) غدوة المشتاق في ربوع الأخلاق – ط٤ مطبعة حبيب بالزقازيق ١٩٩٨م.
٢٤) خواطر حثيثة في الفلسفة الحديثة –ط٤ الشروق بالزقازيق ١٩٩٨م.
٢٥) أوراق منسية في النصوص الفلسفية – ط٣ صبحي بالزقازيق ١٩٩٨م.
٢٦) كرامات الأولياء بين المثبتين و النافين ط ثانية ٢٠٠٤م/١٤٢٥ه
٢٧) الفراسة بين الدين والعقل ط أولي ١٩٩٦م/١٤١٧ه.
٢٨) الفلسفة الإسلامية بين التقدم في المشرق والتأخر في المغرب ط ثالثة ١٤٢٥ه/٢٠٠٤م.
٢٩) دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة ط٣ ٢٠٠٢م.
٣٠) مناهج البحث بين التقليد والتجديد –ط٣ الوطنية ١٩٩٢م.
٣١) أوراق مطوية في التصوف والصوفية –ط٥ – آل بسيوني ١٩٩٨م.
٣٢) أنسام حية في الأفكار الصوفية ط٤ الشروق ١٩٩٨م.
٣٣) الموسوعة الغزالية في التصوف والصوفية –ج١.
٣٤) الولاية في الفكر الصوفي وأصولها الشرعية –ط٢ مطبعة زاهر ١٩٩٥م.
٣٥) قضايا التصوف بين الأنصار والخصوم –ط١ مطبعة نصر الله ١٩٨٨م.
٣٦) التصوف المفترى عليه ط١ مطبعة دار منار ١٩٨٩م.

٣٧) قيمة الصراع بين الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام ط٤-آل بسيوني ١٩٩٨م.
٣٨) قضايا حية في الفلسفة الحديثة ط٣ الشروق بالزقازيق ١٩٩٨م.
٣٩) المنطق بين التنظيم والتقنين ط١ الوطنية ١٩٩١م.
٤٠) التمهيد في المنطق القديم-ط٤ مطبعة آل بسيوني ١٩٩٩م.
٤١) الوليد المنطق في علم المنطق-التصورات-ط دار حبيب ١٩٩٨م.
٤٢) الخطاب بين الأصوليين ودعاة الحداثة مفهومه وقراءاته-ط١ آل بسيوني ١٩٩٩م.
٤٣) الغزاليات في منطق التصديقات -ط١-آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠٠م.
٤٤) الغزاليات في منطق التصورات-ط١-آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ١٩٩٩م.
٤٥) المدخل لدراسة الحكمة الإسلامية-ط١-آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠٠م.
٤٦) ملامح الحكمة الإسلامية في المغرب ط أولى ١٩٩٨م.
٤٧) التفكير الإنساني و أصوله ومستوياته ط٢-آل بسيوني ١٩٩٩م.
٤٨) الشك في الفكر الإنساني مفهومه ودلالاته ط٣ آل بسيوني ١٩٩٩م.
٤٩) ظاهرة القلق الإنساني بين الدين والعلم ط٣-رضوان ١٩٩٦م.
٥٠) نظرية المعرفة عند ابن رشد-بحث محكم.
٥١) آراء واتجاهات في الدين والفلسفة-ط٢ آل بسيوني ١٩٩٧م.
٥٢) العلاقة بين بارمنيدس و أفلاطون - ط٤ مطبعة ياسر ١٩٩٥م القاهرة.
٥٣) الفلسفة العامة وهو نفسه محاضرات في الفلسفة العامة ط٢ ٢٠٠٢م.
٥٤) الحديث في المنطق الحديث ج١ ٢٠٠١م.
٥٥) الدلالة بين الأصوليين والمحدثين والمناطقة - ط١ حربي ١٩٩٤م.
٥٦) في الوجود وعلله - شرح النمط الرابع لابن سينا -ط ٢ مطبعة المدني ١٩٩٢م.
٥٧) ابن باجة مفكرا - ط١ - آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠٠م.
٥٨) آراء عبد الكريم الخطيب الفلسفية - أطروحة علمية ١٩٩٣م.
٥٩) نظرية المثل المطلقة اصولها تطوراتها ط الثانية ٢٠٠٢م
٦٠) خطرات من فلسفة قدماء المصريين ط الأولي ١٩٩٨م
٦١) تأملات غزالية في الفلسفة الشرقية الطبعة الخامسة ٢٠٠٣م.
٦٢) ملامح الفلسفة الصينية - ط الثالثة ٢٠٠٤م.
٦٣) الفلسفة الهندية القديمة ط الثانية٢٠٠١م.
٦٤) ابن باجة ومذهبه في الأخلاق- أطروحة علمية ١٩٨٧م.
٦٥) اثر الحب عند الصوفية على ادباء الرومانسية ط١ مطبعة رزق ١٩٨٨م.
٦٦) نظرية السعادة في الفكر الإنساني -ط١-آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠٠م.
٦٧) التفلسف بواعثه وخصائصه ط١ ٢٠٠٢م.

ثالثا:التيارات الفكرية والفرق والمذاهب المقارنة.

٦٨) أوراق متناثرة في التيارات المعاصرة ط٤ القدس الشريف١٩٩٨م.
٦٩) عقيدتنا رفع عيسى ونزوله بين الإسلام والنصرانية- أطروحة علمية ط٣آل بسيوني١٩٩٨م.
٧٠) من وحي البيان في جماعة الشيطان ط٤آل بسيوني ١٩٩٨م.
٧١) صدع البرهان في جمهوري السودان ط٣ياسر١٩٩٧م.
٧٢) ومیض النصرانية بين غيوم المسيحية ط٥ حبيب ١٩٩٨م.
٧٣) حفيف الأفنان في التعريف بالملل والنحل والأديان ط٤ دار غريب ١٩٩٨م.
٧٤) مقدمة ضرورية في نشأة الفرق الإسلامية ط١ آل بسيوني١٩٩٩ م.
٧٥) رؤية نقدية في الفرق الإسلامية ط٢ الشروق١٩٩٦م.
٧٦) من قضايا مسيحية وموقف الإسلام منها ط٢ مطبعة طارق ١٩٩٣م.
٧٧) بين المسيحية والإسلام في القيم والأحكام ط٢ مطبعة حسني ١٩٨٣م.

٧٨) علاقة اليهودية الدينية بالعهد القديم ط٣ مطبعة يسرى ١٩٩٤م.

٧٩) اليهودية من الأرض إلى الإعتقاد ط١ مطبعة نصر الله ١٩٨٧م.

٨٠) العهد القديم بين المفهوم والدلالة ط٣ مطبعة الشرق ١٩٩٣م.

٨١) الرد الجميل على شبهات صموئيل ط٢ دار منصور ١٩٩٥م.

٨٢) الرد المتحار على قول النحار ط١ مطبعة ناصر ١٩٨٢م.

٨٣) في التيارات الفكرية – ط١ آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠٠م.

٨٤) التطور الإحيائي بين الدين والفلسفة – ط١ – آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠١م.

٨٥) البابية قراءة جديدة – ط١ – آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٨٦) الوضعية بين المعقول واللا معقول ط دار منار ٢٠٠٣م.

٨٧) تأليه الديانات الوثنية للأيات الكونية ط أولي ٢٠٠٢م.

٨٨) أثر الوثنية في اليهودية وهو ذاته كتاب دراسات في الملل والنحل ط أولي ٢٠٠٣م.

٨٩) قوانين الوراثة بين الدين والفلسفة ط أولي ٢٠٠٤م.

٩٠) الموسوعة الغزالية في الجوانب السياسية ج١ ٢٠٠٤م.

٩١) الفكر السياسي عند الغزالي مقارنا بالنظم السياسية الحديثة ٢٠٠٤م.

٩٢) تأملات غزالية في النحل الشيطانية ط الخامسة ٢٠٠٥م

٩٣) الملائكة بين العهد القديم و القرآن الكريم ط٢ ٢٠٠٢م/١٤٢٣هـ.

٩٤) تجسيدات الإله في اليهودية عرض ومناقشة ط ٣ ٢٠٠١م/١٤٢٢هـ.

رابعا: فنون متفرقات

٩٥) الإسلام وتعبئة الشعور العام – ط١ مطبعة عروس ١٩٩١م.

٩٦) لماذا أنتشر الإسلام ؟ج١،ج٢ – ط٥ الأصدقاء ١٩٩٩م.

٩٧) الدرة النورة في الدفاع عن السنة المطهرة – ج١ – مطبعة غريب ط أولي ١٩٩٢م.

٩٨) حلف الفضول عند العرب وأثره في العصر الحديث ط الثانية صنعاء ١٩٩٧م.

٩٩) درة المدد بتفسير سورة المسد. ط الرابعة الانوار ١٩٩٧م.

١٠٠) لماذا ينكمش أبناء الاسلام ج١ ط الثالثة القدس ١٩٩٥م.

١٠١) دور الإعلام المصري ما بين ١٩٦٥ حتى ١٩٧٣م أطروحة علمية ١٩٧٩م.

١٠٢) دور القصص القرآني في إبراز الانا السلبي ط أولي ٢٠٠١م.

خامسا: الأدبيات

أ) المسرح

١٠٣) وهنا منهي: مسرحية جادة مرتجلة ط الثامنة آل بسيوني ١٩٩٩م.

١٠٤) أطعموا الجائعين: مسرحية تراجيدية ط الرابعة آل بسيوني ١٩٩٨م.

١٠٥) المدرس الكشكول: مسرحية. كوميدية هادفة مطبعة غريب ١٩٩٤م.

١٠٦) ثورة الضمير: مسرحية في اللامعقول ط الرابعة مطبعة صبحي ١٩٩٣م.

١٠٧) يا بني أحفظ ثأر الشهيد: مسرحية جادة مرتجلة ط الثالثة عفت ١٩٩١م.

١٠٨) صرخة أم : مسرحية هادفة ط الرابعة الشرقية ١٩٩٠م.

١٠٩) أم وأبناؤها في معركة : مسرحية تراجيدية ط الخامسة الوطنية ١٩٨٧م.

١١٠) مراحل الحقد أحترقت: مسرحية ملهاة ط الرابعة مطبعة ياسر ١٩٨٤م.

١١١) الحوار الداخلي والمنولوج النفسي: مسرحية رومانسية ط الرابعة غريب ١٩٩٠م.

ب) الشعر العربي

١١٢) التائه الغريب ديوان في الشعر العمودي ط٧ الأصدقاء ١٩٩٨م.

١١٣) ظلال من الفكر ديوان في الشعر المرسل – ط ٦ – آل بسيوني ١٩٩٩م.

١١٤) خواطر شاعر ديوان في الشعر العمودي ط٣ غريب ١٩٩٣م.

١١٥) دعوة مظلوم و نفثة مهموم ديوان في الشعر المنثور ط٥ توفيق ١٩٩١م.

١١٦) أحلام الشباب ديوان في الشعر المرسل ط١ مطبعة نور ١٩٧٦م.

١٩٧) مسافر عبر الأشواق ط٥ الأصدقاء ١٩٩٩م.

١١٨) من وحي الصبا الطبعة الرابعة ١٩٩٨م.

١١٩) أحلام الفجر الطبعة الخامسة ١٩٩٧م.

١٢٠) مسافر على جناح الأشواك الطبعة الثالثة ١٩٩٧م.

١٢١) مؤذن الفجر ط ٣ ١٩٩٦م.

١٢٢) عواطف نبيلة ط٣ -١٩٩٧م.

١٢٣) فتوحات إلهية -ط١ آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ١٩٩٩م.

١٢٤) إلهامات ربانية-ط١ آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ١٩٩٩م.

١٢٥) على مشارف الأربعين ٢٠٠١م.

ج)الرواية

١٢٦) الوداع الأخير :رواية أجتماعية -ط٥ آل بسيوني ١٩٩٨م.

١٢٧) أمرأة المعلم فرج – رواية أجتماعية ط٣ الشروق ١٩٩٧م.

١٢٨) الجاهل المتسلط – رواية نقدية ط٥ مطبعة مرسي ١٩٩١م.

١٢٩) سالمة رواية اجتماعية ط٤ دار منصور ١٩٩٠م.

١٣٠) لا تدعني لي .....رواية اجتماعية ط٣ مطبعة نصر ١٩٨٩م.

١٣١) مياسة ..رواية اجتماعية ط٤ ط نور ١٩٨٧م.

١٣٢) وداعا أيها اليأس – رواية نقدية ط٤ مطبعة مهيب ١٩٨٥م.

١٣٣) سلطان الغريزة – رواية من الخيال العلمي – ط٢ – مطبعة الهدي ١٩٨٧م.

١٣٤) الوجدان المحترق – رواية نقدية – ط١ ١٩٨٢م.

١٣٥) صراع العقل مع العاطفة – رواية من الخيال العلمي – ط١ مطبعة زهران ١٩٨٣م.

١٣٦) شيء من الحقيقة – رواية واقعية ط٣ دار ناصر ١٩٨١م.

١٣٧) أحلام ميت ط١ ٢٠٠١م.

١٣٨) الأزعر والثعبان ط١ ١٩٩٩م.

١٣٩) الثوابت والعولمة ط١ ٢٠٠٠م.

١٤٠) أعلاقيات عطعوط و زيزو الزملوط ط ٢٠٠٤م.

١٤١) الأقنعة المستوردة ط ثانية ٢٠٠٤م.

١٤٢) الأفعى ذات الرداء المثقوب ط١ ٢٠٠٤م.

١٤٣) منصور البطل -رواية واقعية ط٣ -مطبعة زاهر ١٩٨١م.

١٤٤) الشاب الرزين -رواية خيالية أدبية ط٤ دار ناصر ١٩٨٢م.

١٤٥) الفيلق الأزرق- رواية نقدية أخلاقية ط٥ دار خوري ١٩٨٩م.

١٤٦) سويعات في مدارس البنات – رواية نقدية اجتماعية في أنظمة التعليم ط٣ دار ناصر ١٩٧٩م.

١٤٧) على حدود الممنوع ط أولي ١٩٩٩م.

١٤٨) أفراح وأتراح -رواية رومانسية ط٦ هشام ١٩٩٠م.

١٤٩) أقسمت أن أروي – رواية نقدية – ط٤ مطبعة محسن ١٩٨٧م.

١٥٠) أشواق وأطواق – ط٣ مطبعة ١٩٧٨م.

١٥١) الأخلاق أرزاق -ط٣ -مطبعة يسري ١٩٨٨م.

١٥٢) أعابير عزة – ط٤ مطبعة الحاج وحيد ١٩٩١م.

١٥٣) أحلام السحر ط٤ مطبعة خالد ١٩٨٩م.

١٥٤) لمحات من حياتي – ط٤ مطبعة وهيب ١٩٧٨م.

١٥٥) شروق الشمس ذات صباح رواية رومانسية - ط٥ أشرف ١٩٨٢م

د)في النقد الأدبي

١٥٠) الأدب الرومانسي بين الأصالة والحداثة – ط١ مطبعة منتصر ١٩٨٦م.

١٥٧) أثر الإغتراب علي الأدباء المعاصرين – ط٣ مطبعة شروق ١٩٨٧م.

١٥٨) في كتابة المسرح النثري ط٤ صبحي ١٩٩٥م.

١٥٩) يوميات في سنوات - ط٦ الكونتنتال ١٩٩٨م.

١٦) أنات حائر :الطبعة الرابعة – الشروق ١٩٩٨م.

١٦١) من روائع الحكم والأمثال ط٣ ياسر ١٩٩٠م.

١٦٢) أنغام زجلية –ديوان في زجل العامية ط٤ دار توفيق ١٩٨٥م.